

إعجازات حديثة
عليكة ورقكمية
في القرآن

الدكتور فيض أبو السعود

دار المعارف



الطبعة الثالثة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ م

جميع الحقوق محفوظة - للنشر

دار المعرفة

لنشر - توزيع - طباعة - ترجمة

رئيس - خلف البرير - سابع البربرية - ص ٣٠٦٨
سجل تجاري ٥٤٠٩٢ - هاتف ٢١٠٦٦٩ - فاكس ٤١٢٥٣٥ ط

مطبعة الصبح

دمشق - هاتف ٢٢١٥١٠

عدد النسخ (١٠٠٠)

مقدمة

قبل الدخول في بحث الإعجاز العلمي وإعجاز الأرقام والترقيم في القرآن الكريم، وجدت من المناسب تصدير هذا البحث بلمحة موجزة عن كتاب فريد من نوعه، ألفه اثنان من أساتذة الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وهما روبرت م . أوغروس Robert M. augros وجورج ن . ستنسيو george N . stoneciu وذلك عام ١٩٨٤، وأحد الأساتذة متخصص في فلسفة العلم، والآخر رئيس كلية الرياضيات والعلوم في إحدى الجامعات الكندية، وقد تَرجَم هذا الكتاب إلى العربية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت وترجمه الدكتور كمال خلايلي .

أما الهدف الذي يرمي إليه المؤلفان حسب قول الدكتور كمال: « هو هدم أركان المادية العلمية، تلك النظرة الكونية التي استهلها فرنسيس بيكون وغاليليو ، في مطلع القرن السابع عشر، واستمرت إلى العقود الأولى من القرن العشرين ، ثم إثبات وجود الله تعالى وبيان الحكمة والغاية من إبداع الكون وخلق الإنسان، وذلك بالإستناد إلى النتائج التي انتهى إليها أقطاب العلماء والباحثين المعاصرين في مجالات الفيزياء والكوزمولوجيا وبحث الأعصاب وجراحة الدماغ وعلم النفس الإنساني. وقد سمى المؤلفان المذهب المادي النظرة العلمية القديمة ، وسمى نتائج أبحاث واكتشافات علوم الفيزياء الحديثة والكوزمولوجيا الحديثة، النظرة العلمية الجديدة .

وقد انتهت النظرة العلمية المادية القديمة. كما هو معروف. إلى إنكار وجود الله والاستخفاف بالقيم الأخلاقية والدينية وبالمثل العليا الروحية والنفسية، وفسّر أصحاب هذا المذهب المادي السلوك البشري والعقل والإرادة بلغة الدوافع والغرائز والفيسيولوجيا . وأول العلماء الذين بدأوا تهديم النظرة المادية هو أنيشتاين وتبعه هايزنبرج وبور وغيرهم، فأنيشتاين أثبت نسبة الزمان والمكان، بل الحركة، وبور Bohr اكتشف أن الذرة

ليست أصغر جسيم يمكن تصويره -كما كان نيوتن يظن- بل هي الأخرى مكونة من نواة يحيط بها عدد لا حصر له من الإلكترونات، وأجمع كبار علماء الفيزياء النووية والكوزمولوجيا، على أن الكون بما يحويه من ملايين المجرات ومليارات النجوم والكواكب، قد بدأ في لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها إلى ما بين ١٠ و ٢٠ مليار سنة، حيث أن كل المادة الموجودة في الكون كانت معبأة في كتلة متناهية الكثافة انفجرت فيما بعد انفجاراً شديداً عنيفاً، قذف بالمادة في جميع الاتجاهات بسرعات هائلة، وسمي هذا الانفجار بالانفجار العظيم Big Bang وصاحب هذه النظرية هو استاذ الفيزياء النووية في جامعة جورج واشنطن، وهو جورج غاموف (١٩٠٤ - ١٩٦٨). وقد أثبت علماء الكوزمولوجيا أن الكون مازال يتوسع من أثر الانفجار العظيم إلى الآن، وقد ساعد على هذه الدراسة التطور الهائل في صناعة التلسكوب (أي منظار السماء) وصناعة الكمبيوتر. وقد ذكر القرآن الكريم هذا الإتساع قبل ألف وأربعمائة سنة حسب الآية ٤٧ من سورة الذاريات :

«وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» .

إن من بين الفلكيين الفيزيائيين المعاصرين مَنْ قَادَتْهُ أبحاثه إلى القول أن الكون كان مهيناً منذ الانفجار العظيم لتطور مخلوقات عاقلة فيه، وأن الإنسان من مركز الغاية من إبداعه، فأمنوا بالـ «أزلي الوجود» منتصب وراء هذا الكون واسع الأرجاء يديمه ويرعى شؤونه، وهذا الإله الأزلي هو الله عز وجل، أي بكلمة أخرى: مامعنى وجود هذا الكون أو خلقه إذا لم يكن هنالك مخلوق عاقل يشاهده، ويتأمل ويفكر فيه، وفي عظمتة اللاتناهية، ويشعر أن الجمال المنتشر في الكون وفي الطبيعة على جميع المستويات، هو هدف وخطة مرسومة للإيمان بوجود خالق أزلي الوجود لهذا الكون .

وبهذه الروح يتساءل العالم ويلر : أي معنى يمكن استخلاصه من الحديث عن الكون، ما لم يكن هناك أحداً واعياً لوجوده، ومن جهة أخرى، ورّداً على النظرية العلمية المادية القديمة التي تقول أن كل ما يقوم به الإنسان هو نتيجة تفاعلات كيميائية تجري ضمن خلايا الدماغ، فقد قام العلماء المتخصصون في الأعصاب وجراحة الدماغ، بالبحث ودراسة وظائفه عن

طريق التنبيه الكهربائي لقشرة الدماغ، لكل ميلتر مربع منه ، فتبين لهم أن الإنسان مُكوّن من عنصرين جوهريين: جسد فان وروح لا يعترها الفناء، وأن العقل والدماغ شيان مختلفان تمام الاختلاف، وأن الإرادة والأفكار ليستا من صنع المادة ولا من إفرازاتها، بل هي على عكس ذلك، تؤثر تأثيراً مباشراً في العمليات الفيزيولوجية ذاتها، وأسّس هؤلاء العلماء فيما بعد، علماً سُمي بعلم النفس الإنساني. وأشهر هؤلاء العلماء هم فرانكل وماسلو وماي والذين يؤمنون بعدم قابلية حصر العقل في خواص كيميائية وفيزيائية للمادة، وأن للإنسان حرية التصرف والإختيار، ويرفضون تفسير السلوك البشري كله بلغة الدوافع والغرائز والضرورات البيولوجية وردود الفعل الآلية، ويؤمنون عوضاً عن ذلك بما يسمى القيم الأخلاقية والجمالية والجوانب الروحية والنفسية الفكرية (من تصدير الدكتور خلايلي- من كتاب العلم في منظوره الجديد) .

ويقول العالم السيرجون إكلس Eceles في توطئة الكتاب المذكور: إننا جميعاً نحس بالنفور من إيديولوجية لا ترى الوجود، وهي تغرس في النفوس اليأس الدائم (ويقصد الإيديولوجية المادية) . أما جاذبية النظرة الجديدة المضادة للمادية، فهي تستبدل بهذه القسوة الفظيعة غائية الوجود وخالق الكون والجمال والثروات الروحية وكرامة الإنسان .

أما فيما يتعلق بموضوع وجود خالق لهذا الكون، فيجب أن نثبت أولاً أن للكون بداية . وهذا ما فعله العالمان الفيزيائيان هانز بيته وكارل فون فايز ساكر، اللذان أظهرت أبحاثهما تفسيراً كاملاً لكيفية إنتاج الشمس للطاقة من خلال تحول العناصر النووية : ففي قلب الشمس يتحول الهيدروجين إلى هليوم منتجاً الطاقة والضوء، وعلى مدى ملايين السنين كانت العمليات التي تتم داخل كل نجم تُكوّن شيئاً فشيئاً لا الهليوم فحسب، بل جميع العناصر الأثقل :

الكربون والأوكسجين والسيليكون والحديد وسائر العناصر، وكان معنى ذلك: أنه إذا كانت كل العناصر الثقيلة في الكون قد تكونت من الهيدروجين، من قلوب النجوم، فلا بد من أن الكون كله تقريباً كان مركباً في البداية من الهيدروجين، وهذا يدل مرة أخرى على أن للكون بداية .

إذن، يبدو أن المادة ليست أزلية بالرغم من كل شيء، وكما يعلن عالم الفيزياء روبرت جاسترو : إن سلسلة الحوادث التي أدت إلى ظهور الإنسان بدأت فجأة ويعنف في لحظة محددة من الزمن وفي ومضة ضوء وطاقة .

فهل من مكانٍ لإله في كون كهذا ؟. الفيزيائي آدموند يعتقد... ذلك، فهو يقول : ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار العظيم وأنه حدث بينهما تفاعل فجائي، فما الذي يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات في الأزلية ؟. والأبسط أن نفترض خلقاً من العدم، أي إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم؛ وجاء في القرآن الكريم: «وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (سورة البقرة آية ١١٧). وينتهي الفيزيائي أدوارد ميلن بعد تفكره بالكون المتمدد إلى هذه النتيجة : « أما العلة الأولى للكون في سياق التمدد، فأمر إضافتها متروك للقارئ، ولكن الصورة التي لدينا لاتكتمل من غير الله » .

أما النظرة العلمية الجديدة، فتري أن الكون بمجموعه - بما في ذلك المادة والطاقة والمكان والزمان- حدث وقع في وقت واحد وكانت له بداية محددة، ولكن لا بد من أن شيئاً ما كان موجوداً على الدوام، لأنه إذا لم يوجد أي شيء من قُبَل على الإطلاق، فلا شيء يمكن أن يوجد الآن؛ فالعدم لا يُنتج إلا العدم، والكون المادي لا يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي كان موجوداً على الدوام، لأنه كان للمادة بداية، وتاريخ هذه البداية يرجع إلى ما قبل ١٢ إلى ٢٠ مليار سنة، ومعنى ذلك أن أي شيء وجد دائماً هو شيء غير مادي. ويبدو أن الحقيقة غير المادية الوحيدة هي الخالق، فإذا كان الخالق هو الشيء الذي وجد دائماً فلا بد من أن تكون المادة من خلق خالق أزلي الوجود، وهذا يشير إلى وجود خالق أزلي خلق كل الأشياء، وهذا الخالق هو الذي نعنيه بعبارة « الله » .

(صفحة ٦٤ - ٦٥ من كتاب العلم في منظوره الجديد) .

ويقول العالم الفيزيائي النووي فريمان دايسون Free man Dyson عن الشروط الفيزيائية التي أدت إلى نشوء الحياة، فيقول : إن القوى التي تربط بين النيوترونات والبروتونات في نواة الذرة، لا بد من أن تكون - حتى هي - على ما هي عليه، كيما تصبح

الحياة ممكنة، ويقول : لو أن القوى النووية كانت أقوى بِقَدْرٍ طفيف مما هي عليه، لَوُجِدَ الديوترون $Diprotion$ ولا تَحْدُ كل الهيدروجين الموجود في الكون تقريباً متحولاً إلى دبروتونات أو نوى أثقل، ولكان الهيدروجين عنصراً نادراً، وتعذر وجود نجوم كالشمس تعيش طويلاً باحتراق الهيدروجين في قلوبها إحتراقاً بطيئاً. ومن جهة أخرى، لو كانت القوى النووية أضعف بِقَدْرٍ ملحوظ مما هي عليه الآن، لما أمكن احتراق الهيدروجين مطلقاً، ولما كان هناك عناصر ثقيلة، وبالتالي لما وُجِدَت الحياة. فإذا كان تطور الحياة كما يبدو مُرَجَّحاً يتطلب نجماً كالشمس يزود طاقة بمعدل ثابت طوال مليارات السنين، فمعنى ذلك « أن شدة القوى النووية كان لابد من أن تنحصر في نطاق ضيق نوعاً ما لجعل الحياة ممكنة » .

إذاً، فخواص المادة التي يدخل بتركيبها العناصر الثقيلة المتكوّنة بدورها من احتراق الهيدروجين، تبدو ملائمة للحياة ملائمة فذة، بل إن حدوث أدنى زيادة أو نقصان في الكمية الثابتة يجعل من الحياة في كل حالة أمراً مستحيلاً .

وبعد أن يستعرض دايسون هذا النمط العريض، ينتهي إلى القول أن ذلك يدل على عناية مستهدفة. لا على الصدفة، ويؤكد العالم ويلر، أنه مامن كون يمكن أن يبرز إلى حيز الوجود مالم يكن مضموناً له أن يُنتج الحياة والوعي والشهود في مكان ولمدة قصيرة من الزمن في تاريخه المقبل ...

إن المراقب لازم لخلق الكون لزوم الكون نفسه لخلق المراقب والإنسان في مركز الغاية من خلقه. وكما يقول العالم /أبرون شروذ نغز /، فالكون من دون الإنسان يكون أشبه بمسرحية تُمثَّل في قاعة تخلو مقاعدها من جمهور المشاهدين .

والكون الذي يستهدف ظهور الإنسان، يستلزم بدهة وجود خالق، لأن المادة لا تستطيع نفسها أن تهدف إلى أي شيء، ومن هنا فالنظرة العلمية الجديدة تقود مرة أخرى إلى الاعتقاد بوجود خالق يرحبه الكون بأكمله، وجميع نوااميس الطبيعة، وجميع خواص المادة، إلى غاية، ونحن نطلق على هذا الخالق اسم الله . (صفحة ٦٧ - ٦٩ من كتاب العلم من منظوره الحديث) .

والنظرة العلمية الجديدة، لا تقتصر على تأكيد أولية {الخالق} للكون، بل هي تؤكد

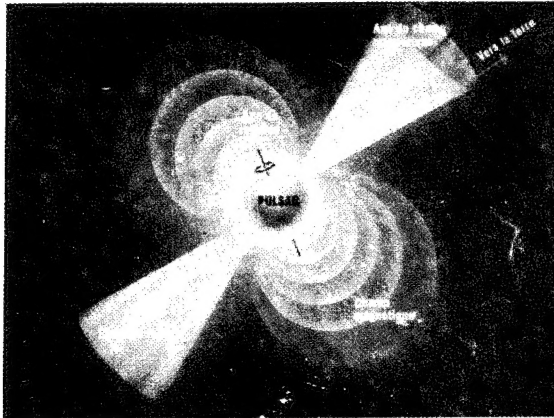
أيضاً أن الجمال جزء من بنية العالم .

دائماً هنالك عقلاً مسؤولاً عن جمال الطبيعة، وهذا الخالق القائم وراء الطبيعة، يُطلق عليه كل الناس اسم الله .

والبشر يلحظون يد الله من ندفة الثلج، ومن غروب الشمس، وفي حقل الأعشاب، وعظمة الجمال تحملُ توقيع الله الذي لا تشبهه فيه . يقول توماس مان : الجمال وحده إلهي ومرني في آن معاً . أما أمرسون Emerson ، فيقدم لنا النصيحة التالية : إياك أن تَفُوتَ أي فرصة لمشاهدة أي شيء جميل، لأن الجمال خُطَّ بيد الله، إنه قُدَّسٌ يقام على جانب الطريق، رحب بالجمال في كل سماء صافية، ومن كل زهرة جميلة، واشكر الله على ذلك، إنه كأس بركة .

وهكذا ففي النظرة العلمية الجديدة، نجد أن أهل الكون وبنيته وجماله تفضي جميعاً إلى النتيجة نفسها، وهي أن الله واجب الوجود . (صفحة ٧٧ و ٨٧ من كتاب العلم في منظوره الجديد) .

وهناك آيات من القرآن الكريم تصف كل ماتقدم تقريباً، ففي الآيات ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ من سورة آل عمران، يقول الله تعالى : (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) . ويقول الله تعالى أيضاً في الآية ٣٨ من سورة الدخان : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) .





هي صورة بقايا انفجار ضخيم لنجم كبير من النوع المسمى بالإفرنسية سوبر نوبا Super nova حدث عام ١٠٥٤ ميلادية . وذلك في مركز بحيرة العقرب، ونظراً لبعد النجم الشديد لم يسجل انفجاره إلا عام ١٩٧٥ . اكتشفه العالم الفلكي هاريسون، وأتم دراسة هذا الحادث العالمان السوفيتيان باسكوفسكي ودوروفيد .

والمهم أن النجم المذكور، وأمثاله، يبلغ حجمه حجم الشمس أو حجم عدة شمس من شمسنا . ومن المعلوم أن قطر الشمس هو تقريباً ١٤٢٨٦٧٢ كيلو متر . فعند انتهاء وقود النجم الذي-بسبب الإختراعات الحرارية النووية (والوقود هنا هو الهيدروجين)-ينهار النجم فجأة على نفسه ويتحول إلى حديد ويصبح قطره فقط ثلاثين كيلو متر . وفي هذه اللحظة وخلال جزء من ثانية ينفجر النجم أو الشمس انفجاراً هائلاً، والصورة تمثل الغازات والمواد الناتجة من هذا الانفجار . وبالنظر للكثافة الهائلة للنجم حين ينهار على نفسه (أي ينتقل من شمس قطرها ١٤٢٨٦٧٢ إلى كتلة حديدية صغيرة قطرها ٣٠ كيلو متر فقط) فإن كل سنتيمتر مكعب من هذه الكتلة تزن ألف مليون طن . (نقلاً من مجلة العلم والحياة الإفرنسية رقم ٨٦٦ تاريخ تشرين ثاني ١٩٨٩ .)

والمهم في الأمر (وهذا رأيي الشخصي) أن ما حصل للنجم المذكور سابقاً يشبه تماماً بدء تكون الكون بالانفجار العظيم، وهي نظرية العالم النووي جورج غاموف التي ذكر منها سابقاً بل الانفجار الهائل للنجم يُثبت حقيقة نظرية العالم غاموف ولكن على قياس أصغر قد يكون بليارات المرات عما حدث في الانفجار العظيم .

سبعة أسباب : إيمان عالم بالله

أ . كريس موريسون

الرئيس السابق لأكاديمية العلوم في نيويورك

« الإنسان ليس وحيداً » كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة يتحدث فيه مؤلفه عن أدق مشاكل الكون وأعوصها ، بأسلوب يجعلك تقرأ الكتاب مرات متتالية كأنه قصة مغامرة في دنيا حافلة بالعجائب والأسرار . وقد تُرجم إلى العربية بعنوان « العلم يدعو للإيمان » وهو فعلاً يدعو للإيمان بالله تعالى بأسلوب العلم وبراهينه الناصعة . وهذا المقال أحد موضوعات هذا الكتاب .

إن البشر لا يزالون في فجر عصر العلم ، وكلما ازداد ضياء العلم سطوعاً جلا لنا شيئاً فشيئاً صنعة خالق مبدع . ففي السنوات التسعين التي مضت منذ عهد دارون ، قمت للعلماء مكتشفات هائلة ، وبذلك صار التواضع الذي هوشيمة العلماء ، والإيمان القائم على العلم يدنوان بنا رويداً رويداً من معرفة الله .

أما أنا فأحصى سبعة أسباب لإيماني هذا .

الأول : نستطيع بناموس رياضي لا يتبدل أن نقيم الدليل على أن الذي وضع نظام

الكون ونفذه مهندس حكيم .

خُذْ عشرة قروش وأرقمها من واحد إلى عشرة ، ثم ضعها في جيبك ، واخلفها ما استطعت ثم حاول أن تخرجها من جيبك دون أن تنظر بحسب ترتيب أرقامها الأول أولاً والثاني ثانياً وهكذا ، على أن تعيد كل قرش تخرجه إلى جيبك بعد اخراجه ثم تخلصها جميعاً وتخرج القرش الذي يليه .

ونحن نعلم أن الاحتمال الرياضي لإخراج القرش الأول أولاً هو واحد من عشرة وإخراج القرشين الأول والثاني بهذا الترتيب ، هو واحد من مئة ، وأن الاحتمال الرياضي لإخراج القروش الثلاثة الأولى على التوالي هو واحد من ألف وهكذا . فالاحتمال الرياضي لإخراج القروش العشرة تباعاً من واحد إلى عشرة ، يبلغ رقماً لا يصدق هو واحد من عشرة

ملايين. وعلى هذا النمط من التفكير ، نستطيع أن نقول أن الأحوال الدقيقة اللازمة للحياة على الأرض ، تبلغ من الكثرة مبلغاً يجعل تواليها المحكم بالمصادفة أمراً مستحيلاً . فالأرض تدور على محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، فلو كانت سرعة دورانها مئة ميل في الساعة لكان طول النهار والليل عشرة أضعاف طولهما الآن ، ولاستطاعت وقدة الشمس أن تحرق نباتنا في النهار الطويل ، ولتجمد في الليل الطويل كل نبت بقي بعد ذلك حياً . ثم إن الشمس التي هي مصدر حياتنا تبلغ حرارتها عند سطحها ٦٧٠٠ درجة مئوية. وقد بلغ بعد أرضنا عنها المبلغ الكافي اللازم لجعل تلك « النار الخالدة » كافية لنا ، لا تزيد ولا تنقص عما نحتاج إليه . ولو كان إشعاع الشمس نصف ما هو عليه لضربنا الجمد ولو زاد خمسين في المئة عما هو الآن ، لانضجت جلودنا الحرارة .

وميل محور الأرض البالغ ٢٣ درجة هو الذي يحدث فصول السنة، فلو لم يكن ميله هو ما هو ، لتحركت الأبخرة المتصاعدة من سطوح المحيطات نحو الشمال ونحو الجنوب ولتكونت منها قارات من الجمد . ولو كان بعد قرنا ٥٠ ألف ميل بدلاً من ٢٨٦ ألف ميل لبلغ المد والجزر مبلغاً هائلاً يكفي أن يغمر القارات جميعاً بالماء مرتين كل يوم ، ولتفتت الجبال منذ أماد طويلة ، ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي الآن بعشرة أقدام ، لما وجدنا في الجو أكسجيناً ، وبغير الأوكسجين يموت كل حي من الحيوان على الأرض . ولو كان المحيط أعمق مما هو الآن ببضع أقدام ، لامتص كل الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون ، ولتعذر نمو النبات ، ولو كان جو الأرض أرق مما هو ، لتهوى بعض النيازك على شتى أنحاء الأرض فتضرمت النيران فيها بدلاً من أن تحترق وتذوب في الجو ، وهو ما يحدث الآن. فهذه الأمثلة وكثير غيرها تحملني على القول بأن احتمال ظهور الحياة على الأرض مصادفة لا يبلغ واحد من ملايين .

الثاني : إن سعة حيلة الحياة في تحقيق أغراضها يدل على تدبير عقل منبث في خلالها جميعاً ، لم يستطع إنسان أن يدرك كنه هذه الحياة : فهي لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا كثافة ولكنها تنطوي على قوة فالجذر النامي مثلاً يشق الصخر شقاً وقد تغلبت الحياة على الماء واليابسة والجو وسيطرت على العناصر ففرضت عليها أن تنحل ثم أن تعيد تركيب مؤلفاتها .

والحياة مثال يخلق أشكال جميع الأحياء ، وفنان يرسم كل ورقة على كل شجرة ويلون كل زهرة ، والحياة موسيقى قد علمت كل طائر أن يغرد تغاريد الحب وألهمت الحشرات أن تدعو بعضها بعضاً بموسيقى أصواتها العجاجة . والحياة هي الكيميائي الأكبر تمنح الثمار والأفاوية طعمها ومذاقها ، والورد عطره وتحول الماء والحمض الكربونيك إلى سكر وخشب وتطلق الأوكسجين حتى تستطيع الحيوانات أن تتنفس نسيمات الحياة .

فنظرة إلى نقطة لاتكاد ترى من البروتوبلازمة (المادة الحية) شفاقة كالهلام قادرة على الحركة تستمد الطاقة من الشمس .فهذه الخلية الوحيدة ، هذه القطرة الصغيرة الشفاقة التي تبدو كأنها نطفة دقيقة من ضباب تنطوي ثناياها على جرثومة الحياة وتقدر أن تنفث هذه الحياة في كل شيء حي كبيراً كان أو صغيراً . وقدرة هذه النطفة هي أعظم من نباتنا وحيواننا وشرنا لأن الحياة نبتت منها؛ فالطبيعة لم تخلق الحياة ، أما الصخور التي صهرتها النار وأما البحر الذي لاملح فيه فلم يكن في وسعهما أن يهيئا الأحوال اللازمة لظهور الحياة . فمن الذي أوجدها في الأرض ؟!

الثالث : إن حكمة الحيوان تنطوي بلسان لاترد حجته بأن لها خالقاً كريماً بث الغريزة في حيوانات صغيرة كانت لولا هذه الغريزة ، أحياء عاجزة . إن سمك السلمون الصغير يقضي سنوات في البحر ، ثم يعود إلى نهريه ، ويشق طريقه في النهر على نفس الجانب الذي يصب فيه الجدول الذي ولد فيه . فمن يرجعه إلى مسقط رأسه بمثل هذه الدقة العجيبة وإذا نقلته إلى جدول آخر غير جدول له أدرك من فوره أنه ضل طريقه ، فيكافح لكي يعود إلى مجرى النهر الكبير ، ثم ينقلب مواجهاً تياره ويمضي حتى ينهي إلى غايته على أدق وجه .

أما لغز ثعبان البحر - الإنكليش - فأعسر حلاً . فهذه الحيوانات العجيبة ترحل عند بلوغ رشدها ، من جميع البرك والأنهار في كل مكان وتعبير مئات وألوفاً من الأميال في المحيط متجهة إلى الأغوار التي على مقربة من جزائر برمودا ، حيث تلد ثم تموت . أما صفارها التي لاتملك وسيلة تمكنها من أن تعرف شيئاً سوى أنها في قضاء هائل من الماء فتزعم الرحلة سالكة طريقاً ليس يقضي بها إلى الشواطئ التي نزحت منها أبواؤها وحسب ، بل تسير أيضاً من تلك السواحل إلى الأنهر والبحيرات والبرك الصغيرة . وكذلك ترى ثعابين

البحر موجودة دائماً في كل ماء . ولست ترى أحداً قد صاد ثعبان بحر أمريكياً في مياه أوربية ولا صاد ثعبان بحر أوربياً في مياه أمريكية ، فقد جعلت الطبيعة بلوغ ثعبان البحر الأوربي أبطأ بمقدار سنة كاملة أو أكثر من رحلته من مكان مولده أطول .

فمن أين أتى هذا الحافز الذي يوجه ثعبان البحر ويرشده .

والزنبور يقهر الجدد ، ثم يحفر حفرة صغيرة في الأرض ، ويلدغ الجدد، حيث ينبغي له أن يلدغه حتى لا يموت ، بل لكي يفقد وعيه ويظل حياً يصلح للأكل فكأنه لحم محفوظ. ثم تضع أنثى الزنابير بيضها في المكان الصالح حتى إذا انفلقت عن صفار الزنابير استطاعت أن تأكل الجدد دون أن تميته ! . فإن لحم الجدد الميت يقتلها، ثم تطير الأم وتموت فلا تقع عينها على صغارها أبداً . ولا بد أن تكون أنثى الزنابير قد أتمت كل هذا على أوفى وجه وأدقه منذ المرة الأولى ، وفي كل مرة، ولو لم تفعل ذلك لما كان في الدنيا زنابير . ولا يسعنا أن نعلل هذه الأساليب الغامضة بالتكيف والملائمة بل هي هبة ممنوحة .

الرابع : في الإنسان شيء أكثر من غريزة الحيوان - ذلك هو

قدرة العقل .

ليس في آثار الحيوان ما يدل على أن أحداً منها استطاع أن يعد إلى العشرة أو أن يفهم معنى عشرة ، وإذا تصورت أن الغريزة لحن واحد على مزمارة ، لحن جميل ولكنه محدود ، فإن دماغ البشر يحوي جميع الألحان التي تخرجها جميع آلات الموسيقى في فرقة كاملة . ولا حاجة بنا إلى التوسع في هذه المسألة، فبفضل العقل البشري نستطيع أن نتأمل في الرأي القائل بأننا بلفنا لأننا تلقينا قيساً من ذلك العقل الشامل .

الخامس : إن تدبير أمر الأحياء جميعاً يتجلى في ظاهرات

ندركها اليوم ولكن تشارلز داروين كان لا يدركها مثل عجائب عوامل الوراثة .

وهذه العوامل تبلغ من الصغر مبلغاً لا تدركه العبارة ، فلو جمعت العوامل التي يرجع إليها جميع البشر الأحياء في العالم اليوم ووضعتها في مكان واحد لكانت أقل من جوزة صغيرة . بيد أن هذه العوامل التي لا تكشفها عدسة المجهر وصاحباتها الصغريات

(الكروموسومات) ، مستقرة في كل خلية حية وإليها مرد أسرار الخواص التي يتصف بها جميع البشر والحيوان والنبات . فاعجب لخواص ألفي مليون من البشر تحشد في مكان صغير لا يزيد على حجم الجوزة ، غير أن الحقائق شيء لامراء فيه ، فكيف إذن - كيف تستطيع عوامل الوراثة أن تدخر في مكان دقيق الصغر وراثه حشود من أسلاف البشر ، وتحفظ على كل فرد خصائص نفسه ، هنا يبدأ التطور حقاً - في الخلية في الوحدة التي تنطوي على عوامل الوراثة وتحملها . أما كيف تستطيع بضعة ملايين من الذرات منظومة في عامل من عوامل الوراثة التي لا يتبينها المجهر أن تسيطر على جملة الحياة على ظهر الأرض فمثل على الحكمة الخفية والتدبير الدقيق المحكم الذي لا يمكن أن ينبثق إلا من عقل خالق مبدع وليس ثمة فرض آخر يصلح لتعليل ذلك .

السادس : إن ما نراه في الطبيعة من أساليب التدبير ، يقسرننا على أن نرى أن حكمة لحدود لها هي وحدها القادرة على أن تنفذ الغيب وتدبر الأمر بمثل هذه القدرة والرشد . منذ سنين كثيرة ، زرع نوع من نبات الصبر في استراليا ليكون حاجزاً واقياً لبعض المزارع ، ولم يكن لهذا النبات في استراليا حشرات معادية له فسرعان ما جعل ينمو نمواً زائحاً ، وظل نموه الزاخر مطرداً على وجه يثير القلق حتى شمل من الأرض رقعة مساحتها كمساحة إنجلترا وزحم الناس في المدن والقرى ودمر مزارعهم فأخذ علماء الحشرات يبحثون في وسيلته لمدافعته فطوفوا منقبين في أرجاء الأرض فوقعوا أخيراً على حشرة لاتعيش إلا على الصبر ولا تأكل شيئاً غيره وهي وافرة النسل ولا أعداء لها في استراليا وسرعان ما تغلب الحيوان على النبات وترى آفة الصبر اليوم قد خفت وطأتها وقل أيضاً عدد هذه الحشرات لم يبق منها سوى ما يكفي للحد من نمو الصبر وحفظه في حدود مقبولة . وأنت ترى مثل هذه القيود والتدابير ، في أنحاء الخلق أينما قلبت نظرك فلم لم تتمكن الحشرات الوافرة النسل من أن تسيطر على الأرض ؟ لأنه ليس لها رثات كثرات الإنسان ، بل هي تتنفس بواسطة أنابيب ، فإذا ما كبر حجم الحشرة ترى أن أنابيب التنفس لاتبلغ حجماً يناسب حجم الحشرة الكبيرة . فلذلك لاتجد في تاريخ الحياة على الأرض حشرة ضخمة . وهذا القيد الذي حد من حجم الحشرات هو الذي حال دون سيطرتها على الأرض ولولا ذلك لعجز البشر عن الحياة على ظهر هذه البسيطة .

السابع : إن قدرة الإنسان على أن يتصور فكرة وجود الله ، هي نفسها برهان فذ .

إن تصور وجود « الله » ينبثق من قدرة علوية في الإنسان ، لا يشاركه فيها سائر الأحياء - هي قدرة التخيل ، وبها يستطيع الإنسان دون غيره من الأحياء أن يجد الدليل على أشياء لا يراها وأن الأفاق التي تفتحها هذه القدرة أمام عينيه فهي آفاق لا حدود لها والحق أن تخيل الإنسان إذا مادنا من مراتب الكمال وصار حقيقة روحية استطاع أن يتبين به من خلال دلائل النظام والقصد في الكون تلك الحقيقة العظيمة : أن قدرة السماء في كل مكان وكل شيء ، وأن الله في كل مكان وعند كل شيء ، ولكنه أدنى ما يكون إلينا في قلوبنا ، إن قول صاحب المزامير لهو صحيح من ناحية العلم ومن ناحية التخيل جميعاً : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه » .

القرآن والعلم

لم يهاجم دين من الأديان البشرية العديدة، مثل ما هوجم الدين الإسلامي، سواء بالافتراءات الكاذبة ضده أو بالاختلافات التي لأساس لها من الصحة بتاتا، وذلك في الماضي والحاضر .

والغريب أن أصحاب الديانات السماوية التي يؤمن الإسلام بأنبيائها، هم على رأس قائمة من يفترون على الدين الإسلامي ويهاجمونه، وذلك منذ أكثر من ألف . . . وثلاثمائة سنة تقريباً. ولم يتأثر الدين الإسلامي أمام هذا الهجوم الذي امتد طيلة الحقبة الطويلة المذكورة، بل صمد صموداً قوياً؛ وعلى العكس، ثابر على انتشاره التدريجي بين الشعوب وخاصة منها المناطق الآسيوية، وآسيا الصغرى، واجتاز بعدها القسطنطينية إلى البر الأوربي، وانتشر بالبنانية، وبعض مناطق بلغارية ويوغسلافية، وكافة المناطق الإسلامية من روسيا. وما زال إلى الآن ينتشر ببطء في أوروبا وأمريكا واليابان وجنوب شرق آسيا، بخطى ثابتة وقوية .

وفشلت كافة الجهود الهائلة المبذولة لوقف انتشاره . . . وقد قال أحد كبار المفكرين الأوربيين في القرن التاسع عشر، إنه لن يمضي مائتا عام، حتى ينتشر الإسلام في أوروبا بأجمعها .

قد يتساءل الإنسان: ما هو سر بقاء الإسلام حيواً حتى الآن، وما هو سر قوته ؟ . بالنسبة للمسلمين حالياً عامة، والعرب خاصة، فإن السبب الرئيسي هو إعجاز القرآن . فإن الله تعالى قد تحدّث في القرآن العرب جميعهم وكافة البشر، أن يأتوا بسورة واحدة شبيهة بآيات القرآن، فلم يستطع أحد أن يقلده حتى الآن . وتقول الآية الكريمة (وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ

دُونَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

أما بالنسبة لغير المسلمين، فباعترادي أن الذين يعتقدون الإسلام منهم في القرن العشرين، سواء الأوروبيين أو الأمريكيين أو الآسيويين وغيرهم ، فإنهم لا يؤمنون به عن عاطفة سطحية، بل بعد دراسة عميقة وطويلة، تمتد أحياناً سنين - كما حدث للفيلسوف الإفرنسي روجيه جارودي والدكتور موريس بوكاي وغيرهم من مشاهير الأوروبيين الذين أسلموا .

والأمر الأساسي الذي يفاجئهم، هو أن القرآن يتحدث عن أمور علمية لم تُكتشف إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين، وعن أمور تاريخية قديمة تَبَيَّنَ - بعد الإكتشافات الأثرية الحديثة - أنها مطابقة لما جاء في القرآن الكريم .

يقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم : لقد أدهشتني في البداية هذه الصورة العلمية الخاصة بالقرآن إلى حد بعيد، لأنني لم أكن أظن أنه يمكن حتى هذا الزمن أن يُكتشف - في نص مكتوب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً - عددٌ من اليقينيات المتصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماماً مع المعارف العلمية الحديثة .

فإذا كان كاتب القرآن بشراً، فكيف أمكنه في القرن السابع الميلادي كتابة ما ثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة ؟ .

ومن جهة أخرى، فإن القرآن قد ثبت - دون أي شك - أنه وصلنا دون أن تمسه يد التغيير ولا بحرف واحد، أي أنه لاشكُ أبداً بأصالة القرآن . وقد ثبتت هذه الأصالة عن طريق إعجاز رقم ١٩ في القرآن الكريم ؛ وسيأتي ذكر هذا الموضوع المذهل فيما بعد .

وفيما يلي، سأذكر بعض المواضيع العلمية الموجودة في القرآن، والتي اتفق العلماء العصريون على تفاسيرها العلمية، وقد اقتبست هذه المعلومات من كتاب الدكتور موريس بوكاي، وإنني أذكر ذلك للقراء المسلمين وغير المسلمين بشكل خاص، على أساس القول المأثور : إن الإنسان عدوٌ ما يحجل .

خلق الكون

دورات خلق الكون :

تقول التوراة أن الخلق تم في ستة أيام، تبعها يوم راحة هو السبت، ويقول القرآن الكريم أن الخلق تم في ستة أيام، ولكن بدون ذكر الراحة، لأن الله تعالى مُنزه عن التعب ، فالتعب للبشر لا لله عزوجل . ويفسر القرآن (اليوم) بالآية الكريمة من سورة المعارج الآية ٤ : «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» .

وأول من انتبه إلى تفسير كلمة (اليوم) هو العالم الشيخ أبو السعود في تفسيره المشهور، حيث اعتبر أيام الخلق عبارة عن (نوبات) . وأخذ منه المفسر السيد يوسف هذا المعنى عام ١٩٣٤ حيث اعتبر أيام الخلق عبارة عن «آجال» أو دورات زمنية طويلة.

تقول الآيات الكريمة في سورة النازعات (من الآية ٢٧ حتى الآية ٣٣) : (أَننُفِثُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بُنْيَانًا - رَفَعَ سَمَكُهَا فِسْوَاهَا - وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا - وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا - أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا - وَالْجِبَالُ أُرْسَاهَا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) .

سورة الأعراف: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) .

سورة السجدة : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) .

سورة ق : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (أي من إعياء وتعب) .

سورة الأنبياء : (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) .

سورة فصلت : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) .

هذه هي بعض الآيات التي تصف خلق الكون، ولنرى ما يقول العلم الحديث بهذا الموضوع :

يقول علماء فيزياء الفلك (الأستروفيزيكيون) : إن الكون كان منذ مليارات ملايين الأعوام كتلة ضخمة من الهيدروجين مع جزء من الهليوم .
 وإن ماجاء بالآية الكريمة : ثم استوى إلى السماء وهي دخان، يتوافق مع قول علماء فيزياء الفلك، إذ يفسر الشيخ أبو السعود ^(١) الآية المذكورة بأن كلمة دخان هو أمر ظلماني (أي غيبي غير معروف) عبّر به عن مادة السماء (أي الكون) أو عن الأجزاء المتصغرة التي رُكبت هي منها، وهذا التفسير أقرب إلى الواقع لتفسير كلمة هيدروجين غير المعروفة -
 - لاحق نزل القرآن ولاحين فسرت هذه الآية في القرن السادس عشر ميلادي -
 ويقول موريس بوكاي: إن الدخان على العموم من أصل غازي مشوب بذرات دقيقة لها إمكانية الانتماء إلى حالات المادة الجامدة والسائلة وأن تكون من الحرارة المرتفعة تقريباً مع بقائها في حالة من الاستقرار . هذا هو التفسير العلمي للدخان .
 وقد انفجرت هذه الكتلة الضخمة من الهيدروجين انفجاراً هائلاً سُمي باللفّة الإنجليزية (Big Bang) ^(٢) .

(١) محمد بن محمد مصطفى العمادي ، المولى أبو السعود ، دَرَس ودَرَس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم إيلي ، وكان حاضر الذهن سريع البديهة ، كان يجيد العربية والتركية والفارسية .

وُلِدَ عام ١٤٩٠ م . في الأستانة، وتوفي فيها عام ١٥٧٤ وكان يتقلد منصب شيخ الإسلام (أي مفتي عام) وقاضي القضاء في الإمبراطورية العثمانية، وبقي بهذا المنصب أكثر من ثلاثين سنة حتى وفاته، وله تفسير قرآن مشهور باسمه حتى الآن، ومؤلفات عديدة أخرى يعلم الفلك وغيرها (الأعلام للزركلي مجلد ٧) وله دواوين شعر باللغات العربية والتركية والفارسية .

(٢) حدث الانفجار منذ مدة تتراوح بين ١٥ - ٢٠ ألف مليون سنة تقريباً . إن الهيدروجين هو الوقود الحراري النووي لكل النجوم والشموس . وحينما ينتهي هذا الوقود، ينخمس وينهار النجم على نفسه فيصبح أقل من حجمه بمليارات المرات (كما ذكرت في أول الكتاب) ويجزء من الثانية وفوراً بعد انهياره، وينفجر . وهذا ما حدث قبل خلق الكون وسمى بالانفجار الهائل أو العظيم (راجع صورة مجلة العلم والحياة بأول الكتاب) .

إذن تسلسل تكوّن الكون هو كما يلي :

- ١ - وجود هيدروجين بكميات فلكية هائلة لا يمكن أن يدركها العقل البشري ولا يعلمها إلا الله تعالى .
- ٢ - انخساص وانهيار مانتج من الاحتراق الحراري النووي للهيدروجين بعد نفاذه وتقلص هذا الناتج (وهو حسب الدراسات الحديثة، مُكوّن من حديد) على نفسه فتصبح كثافته هائلة حيث أن كل سنتيمتر مكعب منه يزن ألف مليون طن .

٣ - ولا يلبث هذا الإنخماص والتقلص، إلا جزء من الثانية، يتلوه بعدها المرحلة الثالثة وهو الانفجار العظيم Big Bang .

وهذا التسلسل درسه العالم هاريسون والعالمان السوفيتيان باسكوفسكي ودوروفيد بواسطة مناظر السماء الضخمة (التلسكوب) وبمساعدة الكمبيوتر، حينما شاهد هاريسون عام ١٩٧٥ جميع الأدوار الموصوفة سابقاً على نجم ضخيم من نوع السوبر نوبا Supernova جرت حوادث تقلصه وانفجاره عام ١٠٥٤ وصورها . وقد لاحظ داخل بقايا الانفجار كتلة مدورة ضخمة تدور على نفسها ٣٠ دورة بالثانية، وكأن هنالك قوة نفثاة تدبرها، وسماها الپولسار Pulsar (أي التي تنبض لأن موجاتها اللاسلكية تأتي إلى الأرض بشكل نبض) (من مجلة العلم والحياة عدد ٨٦٦ تاريخ تشرين ثاني ١٩٨٩) .

الملاحظة المهمة في هذا الموضوع، أن الآيات القرآنية التي تتحدث عن نشوء الكون تأتي بنفس التسلسل الموصوف أعلاه . فالآية (١) من سورة فصلت التي تقول «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» ، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» ومراجعة المعنى العلمي لكلمة دخان حسب ماهو مذكور في دائرة المعارف الإفرنسية لمؤلفها كيلبية : الدخان هو المنتوجات الغازية المختلفة الكثافة والتي تتصاعد من المواد التي هي في حالة حرارية مرتفعة جداً لدرجة التوهج (دائرة المعارف الإفرنسية صفحة ٢٦٨٣) .

وهذا الوصف ينطبق تماماً على الشمس والنجوم المتوهجة من الاحتراق الحراري النووي للهيدروجين . أي أن الله تعالى حينما استعمل كلمة دخان كان يقصد الهيدروجين الغير معروف حين نزول القرآن الكريم .

وهذا يتطابق تماماً مع العلم الحديث . وهذا هو الدور الأول لتكوين الكون : وبعد سورة فصلت، نزلت سورة الأنبياء، وفيها الآية التي تقول : «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» وهذا هو الدور الثاني والثالث لخلق الكون، وهو أيضاً يتطابق تماماً مع تسلسل خلق الكون الذي اكتشفه علم الفلك الحديث . إذن فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم هنا واضح تماماً ولا لبس فيه، والتأكيد العلمي لما جاء في خلق الله تعالى للكون يدل على أن القرآن هو من لدن خبير حكيم .

وذلك حسب الآية الكريمة : (أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) ، آية ٣٠ من سورة الأنبياء .

ذكر في هذه الآية تتابع زمني للفتق من كتلة واحدة أساسية ملتزمة العناصر في الأصل (الرتق) . والفتق في اللغة العربية هو الكسر والفصل والشق، والرتق هو الجمع والالام بين العناصر لتكوين كل متجانس .

تفسير ابن كثير للأية المذكورة (١) :

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: أن السماوات والأرض كانتا قطعة واحدة ففتق هذه عن هذه .

تفسير ابن السعدي :

الرتق هو الضم والالتحام، أي أن السماوات والأرض كانتا مرتوقيتين أي شيئاً واحداً وحسب قول كعب إن الله تعالى خلق السماوات والأرض ملتصقين، ثم خلق ربحاً فتوسطتها ففتقتها .

وهذا التفسير الأخير يشابه كثيراً ما اكتشفه العلم الحديث من أن الكون كان كتلة هائلة من الهيدروجين مع قليل من الهيليوم ثم حدث الانفجار الهائل المسمى (The BigBang) وانقسمت هذه الكتلة إلى أقسام هائلة قَدَّر العلماء أحجامها بين مليار إلى مائة مليار ضعف الشمس . ثم تتالت الانقسامات حتى تشكلت النجوم وتحولت إلى قوى حرارية هائلة بفعل حركة الدوران المتزايد السرعة، ولأسباب فيزيائية لامجال لذكرها هنا. وبعدها ظهرت الكواكب والأرض . وبهذا فإن موضوع الخلق بالقرآن يُؤلف وحدة كاملة مع المعطيات العلمية الحديثة عن خلق الكون .

وقد ثبت مؤخراً أن هذا الكون الضخم مازال تحت تأثير الانفجار البدئي (The Big Bang) تتسع وتبتعد مليارات الأجزاء التي تؤلف الكون بعضها عن بعض . أي أننا نعيش في كون يكبر ويمتد بفضل قوى الدفع الهائلة للانفجار الأول، ولأن هذا الإكتشاف تم بعد التطور الهائل الذي حصل في صناعة التلسكوب (أي منظار السماء) وصناعة الكومبيوتر،

(١) ابن كثير أحد كبار علماء الإسلام ولد عام ٧٠١ أي حوالي عام ١٢٠٠ م . له تفسير قرآن يُعد من أحسن التفاسير المعروفة .

بينما اكتشف القرآن الكريم هذا الاتساع قبل ألف وخمسمائة سنة حسب الآية الكريمة
« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » .

وبمناسبة الحديث عن خلق الأرض، من المعروف أن الكرة الأرضية محاطة بطبقة من
الغازات أهمها الأوكسجين، وهذا الغاز يخف تدريجياً كلما ابتعدنا عن سطح الكرة الأرضية
حتى ينعدم تماماً على بعد معلوم، وهذا ما يضطر الطيارين الذين يرتفعون بطائراتهم إلى
ارتفاعات شاهقة إلى وضع قناع من الأوكسجين خوفاً على حياتهم .

فالإنسان بهذه الحالة يصاب بضيق نفس شديد، ويُغى عليه إذا لم يستنشق
الأوكسجين ويتزود به . ولهذا السبب أيضاً يوجد قناعات الأوكسجين بطائرات نقل الركاب،
عبر القارات، فوق رأس الراكب، مع تعليمات خاصة عن كيفية استعماله .

إن هذا الموضوع ذُكر بالقرآن الكريم قبل ألف وخمسمائة سنة حينما لم يكن أحد من
العالم حينئذ قد ارتفع بالفضاء ليعرف ماذا يصيب الإنسان من ضيق نفس وغيره من
الأعراض .

تقول الآية الكريمة : « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ » .
وَالْخُصَّ فيما يلي النقاط الرئيسية التي يُعرِّفنا القرآن بها، بمناسبة حديثه عن الخلق،
وهي مايلي :

- ١ - وجود ست دورات للخلق على العموم .
 - ٢ - تداخل فترات خلق السموات وخلق الأرض .
 - ٣ - خلق الكون من جرم بدائي واحد بشكل كتلة انقسمت على نفسها فيما بعد .
 - ٤ - كثرة السموات والأرض .
 - ٥ - وجود خلق بسيط بين السموات والأرض .
- إن النقاط ١ - ٢ - ٣ فُسِّرَت سابقاً، وظهر . تطابقها الكامل مع المعطيات العلمية الحديثة .
أما النقطة (٤) فإن العلم يوافق على كثرة السموات المُعْبَر عنها بالرقم ٧ بالقرآن ،
ذلك من التجارب التي قام بها العلماء الأستروفيزيكيون عن الأنظمة الفلكية وعددها الضخم .

أما النقطة (٥) من وجود خلق متوسط بين السموات والأرض كما يقول القرآن ، فهو قريب من اكتشاف جسور المادة الموجودة خارج النظام الفلكي الدقيق .
ويقول الدكتور بوكاي (الذي اختصرتُ من كتابه المعلومات السابقة) : إنَّ معطيات العلم في تكوين العالم إذا لم تؤيد جميع المسائل المطروحة من القرآن في هذا الموضوع . فإنه على كل حال لا يوجد أقل تعارض بينها وبين المعطيات القرآنية في ذلك .
وإن هذه الحقيقة تستحق أن تُسجل لصالح الوحي القرآني .
وبهذه المناسبة لماذا لا يغيب على عيسى إعادة ذكر الوقائع الخاصة بنفس الموضوع والتعاليم التوراتية ، بينما يغيب على محمد أن يوردها هو أيضاً في مواضعه ! .

الشمس والقمر

لا يوجد في القرآن أي شيء يخالف علم الفلك الحديث فيما يختص بالشمس والقمر.
تقول الآية الكريمة بسورة نوح :
« أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا » (١) .

وهناك آيات كثيرة بهذا المعنى، ومن المعروف أن السراج يعطي نوراً ويعطي حرارة أيضاً، أي هو المصدر ؛ بينما القمر يعطي نوراً فقط، أي ليس كالسراج الذي يعطي الحرارة . وهذا يتطابق تماماً مع العلم الحديث ؛ أي أن القمر يعكس ضوء الشمس فقط .
ومن ناحية أخرى، فإن علم الفلك يثبت أن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض تدور حول الشمس، وذلك منذ اكتشاف كوبرنيك لهذه الظاهرة في القرن السادس عشر . وكان الجميع يعتقدون قبل ذلك أن الشمس تدور حول الأرض، وكذلك اكتشف العالم شابلي (Shapley) عام ١٩١٧ أن دوران الشمس حول مركز مجرتنا التابعين لها يبعد مسافة ثلاثة مَلْحَقٍ بها سبعة عشر صفراً من الكيلو مترات .

وتحتاج الشمس لمائتين وخمسين مليون سنة تقريباً لتدور حول مركز المجرة .
ولننظر إلى ما يقوله القرآن الكريم عن هذا الموضوع وذلك في سورة الأنبياء :
« وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » .
وفي آية أخرى في سورة يس : (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) .

فكيف علم ذلك النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم العائش في الصحراء العربية، بأن الأرض والشمس والقمر يسبحان في الفضاء، وهي معلومات فلكية لم تُعرف إلا في القرن السادس عشر، ومنها لم يعرف إلا في القرن العشرين؟! مع العلم أن الناس كانوا
(١) نلاحظ أن القمر والشمس المسميين الينيرين في التوراة، مُعْتَبَرُ عِنْمَا هُنَا فِي الْقُرْآنِ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلَفَةٍ:
النور للقمر والشمس شَبَّهَتْ بالسراج الذي يعطي النور .

يعتقدون في عصر الوحي القرآني أن الأرض نقطة ثابتة، وأن الشمس هي التي تجري .
أليست كل هذه المعطيات القرآنية في صالح الوحي الإلهي للقرآن الكريم ، وبأن محمداً
عليه الصلاة والسلام، هو نبي الله، وأن الإسلام فعلاً هو دين الله الحق؟! .

أما عن دوران الأرض حول نفسها، وحول الشمس، فقد وجدت هذه الحقيقة أيضاً في
القرآن الكريم في الآية رقم ٨٨ من سورة النمل :
« وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ كَمَرٍ مَّرَّ السَّحَابِ ، صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ » .

ومن الآيات الكريمة التي تظهر الإعجاز العلمي للقرآن، الآية التالية : (وَأَرْسَلْنَا
الرياحَ لواقِحَ) .

وقد ثبت- فقط بعد اختراع المجهر في أوائل القرن التاسع عشر أن الرياح تحمل
ما يسمى بغبار الطلع (Pollen) . وهي ذرات صغيرة تنتقل بالرياح لتلقيح الأزهار .
وهناك موضوع آخر يظهر فيه إعجاز القرآن، ويثبت بما لا شك فيه، أنه موحى من
الله تعالى إلى نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو موضوع الأمطار والينابيع في
الأرض .

إن هذا الموضوع لم يُكتشف إلا بين الأعوام (١٤٠٠ - ١٦٠٠ م) وكانت الأفكار
الرائجة قبل هذا التاريخ بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية ؛ ومع ذلك فإن القرآن الكريم
عرف حقيقة الينابيع قبل ألف عام من اكتشاف حقيقتها العلمية، وذلك بالآية الكريمة التالية
من سورة الزمر :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ) .

موضوع كروية الأرض في القرآن

جاء في سورة الزمر آية ٥ : (يُكَوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ ، وَيُكَوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ) .
وفي سورة لقمان آية ٢٩ : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) .
تفسير أبي السعود :

يقول أبو السعود في تفسيره للآية ٥ من سورة الزُّمَرِ، إن المقصود هنا عن الليل والنهار أن يغشى كل واحد منهما الآخر، كأنه يلف عليه لف اللباس على اللباس، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة، أو يجعله كالأرض عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة .
وصيغة المضارع بالآية، للدلالة على التجدد ، أي أن أبا السعود شبه تكوّر الليل على النهار، وتكوّر النهار على الليل، مثل لف العمامة لفاً تدريجياً . ولما كانت العمامة لا تلبس إلا على الرأس وهو مُكَوَّرٌ، فمعنى ذلك أن المكان الذي يتكوّر الليل على النهار، والنهار على الليل مكوّر كالرأس ، وهذا يدل على تأكيد كروية الأرض بالقرآن .

أفكار عامة عن السماء وتطورها

جاء في الآية ١٠ من السورة ٣١ « خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا » إن هذه الآية وغيرها من الآيات المشابهة تدحض العقيدة التي كانت سائدة في تلك العصور، والتي ترى أن السماء لا يمكنها أن تنهض إلا على عُمَدٍ خَشِيبَةٍ أن تقع على الأرض ! كما جاء بآية أخرى تقول بأن الله هو الذي « سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » .

وفي السورة ٣٦ آية ٣٨ : « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .. إن مستقر الشمس المذكور بهذه الآية، قد حدده علم الفلك الحديث تماماً وأعطاه اسم القمة (Apex) أو الذروة للشمس . فالنظام يتحرك في الواقع في الفضاء نحو نقطة محددة في مجموعة هرقيل وبجوار نجم فيجا (Vega) التي تم الاتفاق عليها . وذلك بسرعة قد حُقِّقَتْ من قبل، وهي بمعدل تسعة عشر كيلو متراً في الثانية . كل هذه المعطيات الفلكية تستحق أن تذكر بمناسبة هاتين الآيتين من القرآن اللتين يمكننا أن نقول عنهما إنهما مُتَّفَقَتَانِ تماماً مع المعطيات العلمية الحديثة .

النتوء الأرضي : جاء في السورة ٨٨ آية ١٩ - ٢٠ « وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » . وفي السورة ٧٨ آية ٦ - ٧ « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » (١) وفي السورة ٧٩ آية ٣٢ « وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا » . وفي السورة ٣١ آية ١٠ « وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ » . كل هذه الآيات تتفق مع ما اكتشفه علماء الجيولوجيا الحديثون وهم يصفون انخفاضات الأرض التي ركزت النتوءات والتي لها أبعاد مختلفة من كيلو متر حتى عشرات الكيلو مترات، ومن ظاهرة الانخفاض هذه، يستخلص العلماء رسوخ القشرة الأرضي وثبوتها وهو ما يتفق تماماً مع المعطيات الجيولوجية .

(١) الوند : هو الذي يُثَبَّت الخيمة على الأرض .

نشأة الحياة في الأرض

إن الأبحاث العلمية العديدة، قد أثبتت أن الحياة على الأرض نشأت أولاً في الماء ؛ ويدون ماء لا يمكن أن توجد خلية أولى حية . وهذه المعلومات العلمية لم تكتشف إلا من خلال المائة سنة الماضية؛ وقد ذكرها القرآن الكريم قبل ألف وخمسمائة سنة في الآية الكريمة التالية : **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**، وآية أخرى أيضاً تقول: **وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ** . وقبل ظهور القرآن الكريم كانت الخرافات .. الوثنية، وأقوال الفلاسفة، هي المسيطرة على عقول الناس، حول أصل الحياة على الأرض .

وهناك معجزة أخرى للقرآن الكريم هي موضوع الحليب الحيواني ؛ فقد جاء في سورة النحل : **(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ، لَنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)** .

تفسير ابن كثير : تقصد الآية، أنه إذا نضج الغذاء في معدة الحيوان، يُصرف منه دم إلى العروق ولبن إلى الضرع ويول إلى المثانة وروث إلى المخرج .
تفسير أبي السعود : يقصد بالفرث هو فضالة ماتبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الإنهضام وكثيف ما يبقى في الأمعاء .

فالتفسيران يتممان بعضهما البعض، فكلمة كثيف دليل على أن هنالك حالة امتصاص من الأمعاء (وهذا امتصاص القسم السائل من المواد الغذائية، حسب النظريات الحديثة) يبقى بعده التفل الذي يصبح بعد ذلك برازاً، وحسب ابن كثير، هذا الإمتصاص يذهب إلى الدم والعروق ثم إلى الضرع ليصبح لبناً .

وقد فسرها العالم الباحثة الدكتور موريس بوكاي تفسيراً موفقاً حينما قال : في الحقيقة أن لكم في حيوانات قطعانكم عبرة تعطيكم للشرب مما في داخل جسمها، والذي ينتج من الصلة ما بين محتوى الأمعاء والدم ، حليباً سائغاً للشاربين .

ويقصد هنا الدكتور بوكاي أن محتوى الأمعاء من الأغذية التي أكلها الحيوان تُمتص إلى الأوعية اللمفية المعوية، ومنها إلى الدم ، ومن الدم تذهب إلى الخلايا الحليبية في

الشيء وتعذي إفرازاتها للحليب .

وهذه نظرية طبية مُتفق عليها بين كل علماء الفيزياء (الفيزيولوجيا) الطبية في العالم، وتُدْرَس في كل جامعات العالم ومعاهدها الطبية . وقد فسّر ابن كثير هذه الآية بتفسير قريب من تفسير الدكتور بوكاي-لولا عدم ذكره لطريقة الإمتصاص للغذاء وذهابه إلى الدم-لأن المعلومات العلمية عن الدورة الغذائية والبلغمية والدموية إلى خلايا الشيء الحليبية، لم تُعرف إلا بعد عشرة قرون من ظهور القرآن، وذلك من قبل العالم الإنجليزي هاري. وهذا أكبر دليل أيضاً على أن الآية القرآنية المذكورة-شأنها شأن بقية الآيات في القرآن-لا يمكن أن يكون لها تفسير بشري، بل هي وحي إلهي للرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

تكاثر النبات : إما غير تناسلي، أو تناسلي. والأخير يفترض وجود عنصرين: الذكر والأنثى، ليحصل التكاثر . ففي السورة ٢٢ آية ٥ : «وَوَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» وفي السورة: ٣١ آية ١٠ : « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » . وفي السورة ١٣ آية ٣ : «وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ» . ومن المعلوم أن الشجرة النباتية هي نهاية دورة التكاثر لدى النباتات العالية، يسبقها مرحلة الزهرة مع أعضاء الذكورة (اللقاح) والأنوثة (البويضات)، وهذه الأعضاء هي ما ذكرتها الآيات السابقة بكلمة : زوجين .

ومرة أخرى تظهر معجزة جديدة للقرآن الكريم تثبت مصدره الإلهي، وأنه موحى إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى؛ لأن ما ذكر في الآيات السابقة يتوافق تماماً مع ما ذكره العلماء في علم النبات، هذا العلم . . . لم يُكتشف إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين أي بعد اكتشاف المجهر .

وجود وغرائز مجموعات الحيوانات :

جاء في السورة ٦ آية ٣٨ : «وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ» .

وأحسن تفسير لهذه الآية، هو للشيخ السي أبو بكر همزة، حيث يتكلم عن: الغريزة

التي تدفع- حسب الحكمة الإلهية- كل الكائنات للتجمع والعكائر والتنظيم في طوائف تتطلب لتكون قوية ومعافاة، أن يكون عمل كل عضو في صالح المجموع .

ويقصد الله تعالى بكلمة (أُمَمٌ أمثالكم) أي أن كل مجموعة من الحيوانات تُنظَّم نفسها (حسب تفسير السي أبو بكر أعلاه) بشكل يشبه تقريباً تنظيم الأمم لأُمورها المعيشية وغيرها .

وأكبر مثال على ذلك، هو النحل في الدرجة الأولى، ثم الطيور التي تهاجر وتعود إلى مكانها بشكل دقيق ، لأن مشاكلها المعيشية أو أحوال تكاثرها تتطلب ذلك؛ والعنكبوت مثلاً الذي ينسج بيته ليصطاد به فرائسه .. الخ من الأمثلة في حياة الحيوانات المختلفة والتي لا تحصى ولا تعد .

وإن الآية ٣٨ من السورة ٦ المذكورة أعلاه، هي أيضاً معجزة من معجزات القرآن الكريم، لأن وصف حياة الحيوانات وكيفية تنظيماتها الخاصة بها وأحوالها الفريزية .. الخ، لم تُكتشف إلا في أواخر القرن التاسع عشر والعشرين، حيث عُرف أن تنظيم حياة الحيوانات يُشبه في بعض أشكاله طريقة تنظيم الأمم لبعض أمورها . فكما أن كل مجموعة من النحل مثلاً تتخصص في شيء داخل المنحلة وخارجها، فإن كل مجموعة من مواطني أمة من الأمم تتخصص بشيء كالعمال والمزارعين والجنود ... الخ .

تكون الجنين

لم يظهر علم تكوّن الجنين بشكل كامل إلا في القرن التاسع عشر، خاصة بعد اختراع المجهر، الذي بواسطته تمكن العلماء من رؤية الحوين... المنوي للرجل، والبيضة التي تخرج من سطح المبيض عند المرأة . وعُرفت كذلك المراحل المختلفة التي يمر بها الجنين منذ تلقيح البيضة من قبل الحوين المنوي حتى تمام تخلق الجنين كإنسان كامل في نهاية الشهر التاسع من الحمل . وكانت نظريات تكوّن الجنين قبل القرن التاسع عشر المذكور بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية .

وسنرى في الآيات القرآنية الكريمة التالية وصف تكون الجنين في رحم والدته قبل ثلاثة عشر قرناً من اكتشافه العلمي .

تقول الآية ٢ من سورة الإنسان «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ»، والنطفة هنا معناها كمية ضئيلة جداً من السائل، وهو المنى حسب ما جاء في سورة القيامة آية ٣٧: «أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى». أما كلمة أمشاج، فمعناها مشحونة بعناصر مختلفة- حسب تفسير كتاب المنتخب المنشور من قبل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .

ومن المعروف أن المنى مؤلف من عناصر مختلفة وهي الحويئات المنوية التي تسبح في مفرزات بعض الغدد وأهمها غدة الموثة (البروستات) .

وفي الآية ٨ من سورة السجدة : «ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ» . والماء المهين، يُقصد به المادة المنوية، وسُميت المهين لخروجها عن طريق البول . أما السلالة فمعناها باللغة العربية جزء من كل، أو أفضل جزء من شيء ما .

وإن أفضل جزء من المادة المنوية هو ولاشك الحوين المنوي لأنه هو الفعّال الوحيد في عملية تلقيح البيضة، بينما بقية السائل المنوي لا عمل له إلا احتواء الحويئات المنوية .

وبعد تلقيح البيضة لمدة وجيزة من الزمن تسير البيضة الملقحة من أحد البوقين إلى الرحم . وهذا ما فسّره القرآن الكريم في سورة المؤمنون آية ١٣ : «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» أي في الرحم .

وبعد دخول البيضة الملقحة إلى الرحم، «تعلق» في جداره وتعيش فيه، وهذه الكلمة الأخيرة يستعملها المتخصصون في علم تكوّن الجنين (الأمبريولوجيا) .
وهذا ما وصفه القرآن الكريم تماماً في سورة المؤمنون آية ١٤ : «ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً» .

وفي سورة القيامة آية ٣٧-٣٨ «أَلَمْ يَكُ نَطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يَمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى» .

وفعلاً بعد أن تصبح البيضة علقة، أي تعلق على جدار الرحم وتعيش فيه، بعدها وخلال مدة شهر، تتحول هذ العلقة إلى مجموعة كبيرة من الخلايا، لها شكل كروي تقريباً كاللحم الطري، سُميت بالقرآن الكريم مضغة، وذلك في سورة المؤمنون آية ١٤ : «فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً» .

وبعدها، يبدأ ظهور براعم الرأس والأطراف الأربعة، وذلك في اليوم الثاني والأربعين تقريباً من تاريخ تلقيح البيضة . ويصف ذلك القرآن الكريم في بقية الآية السابقة ، «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» .

وهكذا يكبر هذا الجنين الصغير تدريجياً، حتى يصبح جنيناً كاملاً، أو بالأحرى إنساناً كاملاً . وهذا ما قصدت به الآية الكريمة بكلمة (فخلق فسوى)، ومثلها أيضاً الآية الكريمة : «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» (آية ٦ من سورة الإنفطار) . ولعل في هذه الآية توضيحاً أكثر، إذ فيها مزيد من التفصيل .

والمهم في الأمر، أن براعم الأطراف الأربعة التي تبدأ بالظهور وتنمو، بنفس الوقت يظهر الرأس والعمود الفقاري. كل ذلك يدل على أن النمو يسير بنفس الترتيب الذي ذكره القرآن . وكما قلت، لم يعرف ذلك الترتيب، إلا في القرن التاسع عشر ، وإن ذكر ذلك في القرآن يدل على أن الله تعالى هو الذي أوصى بهذه الآيات للرسول محمد عليه الصلاة والسلام. وليس من إختراعه كما يدعي بذلك أعداء الأسلام .

بعض الفقرات من محاضرة الشيخ عبد المجيد الزنداني عن الإعجاز العلمي في القرآن

تكوّن جنين الإنسان .

جاء في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله : إذا مر بالنطفة (٤٢) ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها فخلق سمعها وبصرها ولحمها وجلدها وعظامها، ثم يقول يارب أذكر أم أنثى، فيقضي ربك ما يشاء .

ومن ناحية أخرى، فقد جاء في كتاب التوليد، للمؤلفين : إيدن وهولاند، في طبيعته الحادية عشرة، صفحة (٥٨)، ما يلي : في الأسابيع الستة الأولى، لا يُميّز الجنين الإنساني عن أي جنين آخر لذوات الثدي، إلا من خبير بعلم تكون الجنين (إمبريولوجياً). أما بعد هذه المدة، وحتى نهاية الشهر الثاني، فإن الأوصاف الخارجية الإنسانية تظهر تدريجياً، فيصبح تفرقه سهلاً عن بقية الأجنة الحيوانية ذوات الثدي .

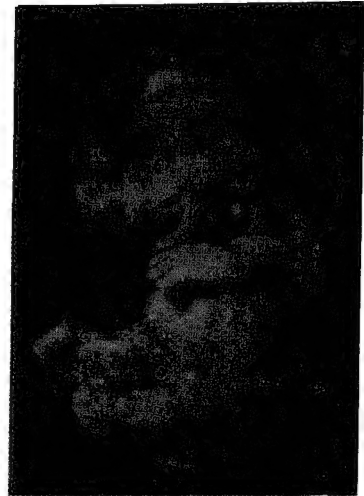
ويمكن التأكد من ذلك بالصور المنشورة مع هذا الكلام ، ويظهر في الصورة رقم (٤٥) جنين عمره (٣٢) يوماً وليس عليه أي صفات إنسانية خارجية ، بل منظره وكأنه دودة من الديدان الصغيرة وطوله (٥) ميليمتراً تقريباً .

وفي الصورة رقم (٤٦)، يظهر جنين عمره (٤٠) يوماً، بدأ يظهر عليه بعض الأعراض الإنسانية الخارجية، كمبدأ ظهور الطرفين العلويين، والعين والرأس، وطوله (١٣,٤٠) ميليمتراً .

وفي الصورة (٤٧)، يظهر جنين عمره (٤٦) يوماً وطوله ١٧ ميليمتراً، وقد اكتملت فيه الصفات الإنسانية، فظهرت أذناه وعينه وأطرافه الأربعة، وتميز الرأس بوضوح عن الجسم، ويلاحظ أيضاً أن عظام الأطراف الأربعة موجودة ومكسوة بالعضلات والجلد والأعصاب والأوعية، وكذلك بقية عظام الجسم كالرأس والعمود الفقاري والحوض، وجميعها مكسوة باللحم والجلد. أما جنس الجنين وكونه ذكراً أو أنثى، فيُعرف بعد الأسبوع الثاني عشر .
فهل من فرق بين الوصف الطبي العلمي الظاهر في الصور الثلاث، وبين حديث



عمر النطفة ٣٢ يوماً الطول ٥ ميلمتراً عمر النطفة ٤٠ يوماً والطول ١٣,٤ ميلمتراً



عمر النطفة ٤٦ يوماً الطول ١٧ ميلمتراً عمر الجنين (٦٠) يوماً وطوله ٣٠,٧ ميلمتراً

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكيف عرف الرسول صلى الله عليه وسلم كل هذه المعلومات الطبية عن تكون الجنين، مع أن هذا العلم لم يُعرف ولم يظهر إلا في القرن العشرين أي بعد الرسول بـ (١٣٠٠) عام تقريباً. إن كل ما تقدم يُثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى .

وجاء في الآية ٦ من سورة الزمر «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ، يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ، فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ . ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ، لَهُ الْمُلْكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُصَرِّفُونَ » .

إنَّ هذا الوصف، يتوافق تماماً مع المعطيات العلمية الطبية الحديثة في علم تكون الجنين :

١ - تَتَخَلَّقُ، أو تتكون، البيضة داخل المبيض في الناحية المحيطة منه، وهي خلية واحدة (التخلق الأول والظلمة الأولى) .

٢ - وفي اليوم الرابع عشر، من أول يوم من الدورة الشهرية للمرأة، تنتقل البيضة إلى البوق (وهذا أنبوب بين المبيض والرحم)، فإذا تلقحت تبدأ بالتكاثر التدريجي (التخلق الثاني والظلمة الثانية) .

٣ - وفي اليوم الخامس تقريباً من التلقيح، تنتقل البيضة للرحم، لتعشش فيه (التخلق الثالث والظلمة الثالثة) .

فسبحان الله أحسن الخالقين .

قصة خروج اليهود من مصر

إن هذه القصة الواردة في الكتب الدينية القديمة، تقول أن اليهود الذين كانوا في مصر أيام حكم الفرعون رمسيس الثاني، كانوا مضطهدين جداً من قبله . وقد ذكر القرآن الكريم في السورة ١٤ :

«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ أَلٍ فِرْعَوْنَ، يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» .

لذلك قرّر اليهود الهروب من مصر، وتقول الرواية التوراتية، إن اليهود قد فروا من مدينة رمسيس بأعداد كبيرة بلغت ستمائة ألف (سفر الخروج ١٢ و ٣٧) .

فما كان من فرعون إلا أن جهز عربته وقاد جيشه وأخذ معه ستمائة من أحسن عرباته ، وكل عربات مصر، محملة بالجنود، وانطلق متتبعا لإسرائيليين رافعا يده إلى العلاء (سفر الخروج ١٤ ، ٦ - ٨)، إلى أن أدركوا موسى وجيشه على شاطئ البحر .

وما إن رفع موسى عصاه، حتى انفلق البحر أمامه، فدخل الناس فيه يسيرون على أرض جافة . وتبعهم المصريون ومعهم كل جباد فرعون وعرباتهم وفرسانهم، وسلكوا الطريق متعقبين آثارهم في وسط البحر (سفر الخروج ١٤ و ٣٣) . وهنا عاد البحر وغمر المنطقة وأغرق عربات وفرسان كل جيش فرعون الذين دخلوا وراءهم فيه ، ولم يبق منهم أحد (سفر الخروج ١٤ و ٢٨ - ٢٩) .

(نُقِلَت هذه الرواية التوراتية حرفياً من كتاب الدكتور بوكاي) .

إن كلمة (لم يبق منهم أحد) تدل على أن فرعون أيضاً قد غرق مع جيشه ومات في البحر ، ولكن التوراة لم تذكر شيئاً عما حصل لجسمه .

« وَجَاوَزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ - قَالَ يَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةٌ - وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ » . صدق الله العظيم .

أولاً : إن كل المتحاملين على الإسلام والدين الإسلامي، يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نقل القرآن من التوراة، بينما القرآن هنا يخالف التوراة في موضوع غرق فرعون مصر .

ثانياً : ثبت تاريخياً أن الفرعون الذي كان يحكم أثناء خروج اليهود من مصر هو منفتاح، وهو الذي لحق باليهود وغرق مع جيشه بالبحر، ولكن، بينما التوراة تقول أن منفتاح غرق مع جيشه ، يقول القرآن الكريم إن جثمانه قد أُنقذ .
وفعلًا فإن جثمان الفرعون منفتاح اكتشفه عالم الآثار لوريت عام ١٨٩٨ مُحْنَطاً في (طيبيا) في وادي الملوك . وبعد نقل الجثة إلى القاهرة وفحصها وُضعت في متحف القاهرة بعد أن كُشِف الرأس والعنق. وما زالت حتى الآن .

والسؤال الآن هو : كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم أن الفرعون منفتاح أخرجت جثته من البحر وأنقذت من الغرق، مع أن هذا الأمر لم يُعرف إلا بعد ألف وثلاثمائة عام تقريباً من نزول القرآن الكريم ؛ وإن كافة الكتب الدينية الموجودة في ذلك الوقت تقول إن فرعون غرق مع جيشه فحسب ؟ .

أعتقد أن كل مكابر عنيد ينكر أن القرآن وحي من الله تعالى يقف عاجزاً تماماً عن إيجاد أي تفسير معقول أمام إحدى معجزات كتاب الله ويعترف صاغراً أن موضوع الفرعون منفتاح المذكور سابقاً ليس له إلا تفسير واحد فقط لاغير، وهو أن القرآن الكريم هو وحي من الله تعالى لرسوله الكريم محمد صلوات الله عليه، وأن هذا الموضوع هو أحد معجزات القرآن الكثيرة .

وهذا مادعا الدكتور موريس بوكاي لأن يقول : يا لها من التماعة عجيبة للآيات القرآنية، تلك المختصة بجسد فرعون المعروف في صالة الموميا، آت الملكية للمتحف المصري في القاهرة، والتي تقدم لكل باحث في معطيات الإكتشافات الحديثة براهين صحة الكتابات المقدسة .

البراهين... التي تثبت أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم ينقل القرآن من التوراة والإنجيل

مختصرة من كتاب الدكتور هوريس بوكاي

الملاحظة الأولى هي أنه لم يذكر في القرآن أي شيء أو موضوع أثار انتقاداً من وجهة نظر العلم أو التاريخ .

فقد سُمي عيسى في القرآن «ابن مريم» لأنه لأب له في الحياة . وبهذا يفترق القرآن عن إنجيلي متى ولوقا اللذين جعلاً نسب عيسى متصلاً بأجداده من ناحية الذكور .
أما نسب عيسى الأمومي فهو من نوح وإبراهيم وعمران والد مريم . تقول الآية ٣٣ من السورة ٣ : «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» .

وما سبق من نسب عيسى يتبين أنه مخالف ليس فقط للأناجيل كما رأينا - بل للعهد القديم، خاصةً . . فيما يتعلق بنسب إبراهيم . وكل هذه الأمور ، تنفي دون أي شك، ما يُقال من أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم ، هو كاتب القرآن، وأنه قد توسع بالنقل عن التوراة، ومن المعلومات التي أخذها أو تعلمها من الراهب بُحيرا، مع العلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين زار الراهب بُحيرا كان عمره ثماني سنوات وبقي عنده يوماً وليلة فقط !! .

موضوع الطوفان

الفرق بين القرآن والتوراة في موضوع الطوفان هو :
أولاً : إن الطوفان، بالقرآن، مُحدد لمعاقبة قوم عاد وثمود وسدوم ومدين، وخاصة قوم نوح. بينما التوراة تقول بأن الطوفان كان عالمياً لمعاقبة كل البشر .
وثانياً : القرآن لم يذكر وقتاً محدداً للطوفان، ولا مدة دوامه. بعكس ما جاء بالتوراة :
لا يوجد في القرآن شيء يناقض الحوادث التاريخية فيما يتعلق بسرد حادثة الطوفان .

فبينما نتحدث التوراة عن طوفان عالمي لمعاقبة كل الإنسانية الكافرة، يذكر القرآن عدة عقوبات أنزلت على مجموعات محددة .

تقول الآيات ٣٥ - ٣٩ من السورة ٢٥ : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا . وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا . وَعَادَ وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ ، وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا . وَكُلًّا ضَرَفْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا نَبِّرْنَا تَعْبِيرًا . »

فالقرآن إذاً، يُذكر بالعقوبات التي أصابت قوم نوح وعاد وثمود وسدوم ومدين . ويؤكد بشكل خاص على قوم نوح، وهذا عكس ما تقوله التوراة بأن الطوفان كان لمعاقبة الإنسانية جمعاء . والمخالفة الثانية للقرآن، بالنسبة للتوراة، هي عدم تحديد وقت للطوفان ولا مدة دوامه .

لذا فإن عدم مطابقة الرواية التوراتية، في تحديدها وقت الطوفان ومدة دوامه، بما حصّلتها المعارف الحديثة واضح كل الوضوح، بينما تثبت الرواية القرآنية بالمقابل براءتها من كل عنصر يبعث على الانتقاد الموضوعي .

خروج موسى

الروايتان القرآنية والتوراتية عن هذا الموضوع متفقتان بالأساس، رغم بعض الاختلافات .

ولكن الرواية التوراتية لها قيمة تاريخية كبيرة لأنها تسوق إلى تحديد هوية الفرعونين المقصودين، وهما : رمسيس الثاني-فرعون اضطهاد اليهود، ومنفتاح-فرعون خروج اليهود من مصر. يقول الدكتور بوكاي: إن القرآن سرد قصة هروب بني اسرائيل من مصر دون ذكر التفاصيل الجغرافية والعديد الواردة في الرواية التوراتية .

ينتهي هنا كل ما اختصر من كتاب الدكتور موريس بوكاي الذي عنوانه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . مع العلم أن الدكتور بوكاي، وهو استاذ الجراحة العامة في جامعة باريس قد اعتنق الدين الإسلامي في منتصف السبعينات .

موضوع اختلاف البحور بعضها عن بعض . والحاجز الهائي بينها

المياه المالحة في مختلف بحار العالم، تختلف عن بعضها البعض ؛ فالبحر المتوسط يختلف عن الأطلنطي، والمحيط الهادي عن المحيط الهندي إلخ .
ثم إن هذا الاختلاف ليس بالإضافة إلى الملوحة فقط، بل في أمور أخرى أيضاً، كدرجة الحرارة والكثافة وغيرها من الأوصاف .

ففي عام ١٩٦٢ ، اكتشفت بعثة ألمانية جاءت لتدرس مياه باب المندب ، أن هنالك حاجزاً من المياه تختلف خصائصه عن خصائص البحر الأحمر وخصائص المحيط الهندي .
وفي عام ١٩٨٢ جاءت بعثة علمية أمريكية إلى جامعة الملك عبد العزيز السعودية فذكرت أن هذا الحاجز من مياه باب المندب، قد صُور من سفن الفضاء الأمريكية، وظهر أن هذا الحاجز يتحرك بالمد والجزر والرياح ، أي (مَرَج) كما ذُكر في القرآن، وعمقه في البحر يقارب ألف متر تقريباً .

فلننظر إذن في القرآن، لنرى ماذا يقول عن هذا الموضوع الذي لم يُكتشف إلا عام ١٩٦٢ . تقول الآية : « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمُلُوثُ وَالْمُرْجَانُ » (الرحمن ٢٠ - ٢٣) . فكلمة : مَرَجَ ، معناها الذهاب والإياب والإضطراب ، أما البرزخ فمعناه الحاجز .

فالقرآن الكريم إذن، ذَكَرَ حاجز المياه الخالص بين البحار، قبل اكتشافه وتصويره بأربعة عشر قرناً . ألا يدل ذلك أيضاً على أن القرآن الكريم وحي إلهي إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن لديه أجهزة علمية ليدرس مياه باب المندب التي لم يزرها طول حياته ولم يكن لديه سفينة فضاء ليصورها ؟!

موضوع التقاء الأنهار العذبة بالمياه المالحة

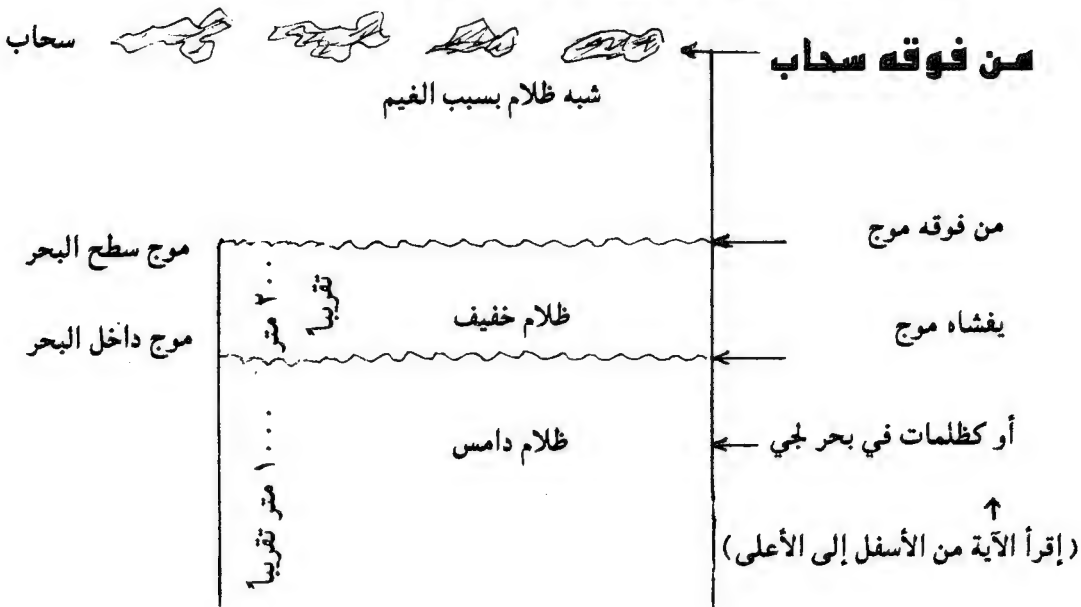
تقول الآية الكريمة : « وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ، هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا
مِلْحٌ أجاجٌ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجوراً » الفرقان (٥٣) .
فهذا البرزخ الفاصل بين مياه النهر ومياه البحر الذي يصب فيه، صُوِّرَ بوضوح من
سفن الفضاء وشكله مثلثي تقريبا، قاعدته في البحر وذروته نهاية النهر .
وثبت بالدراسة العلمية في أعماق هذا البرزخ من المياه، أنه فعلاً حجر محجور، كما
ذكره القرآن الكريم، إذ لا يستطيع السمك الوصول إليه سواء منها النهري أو البحري. وهذا
البرزخ يمتد إلى أسفل البحر، بمسافة تقرب من ألف متر ، وهو دليل علمي آخر على أن
القرآن وحي من الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .

موضوع الموج الموجود في عمق البحر

في عام ١٩٠٠ اكتشفت البحارة الإسكندنافية، منطقة في البحر بعمق (٢٠٠) متر مائي، أو أكثر، فيها موجاً داخلية .

وتبين بعد دراسة المنطقة بأجهزة الفوص، أنه يوجد تحت منطقة الموج ظلام دامس شديد ، أما فوق منطقة الموج فيخف الظلام تدريجياً حتى سطح البحر ، ويمتد هذا الظلام الشديد إلى عمق ألف متر تقريباً، والموج المذكور لا يتكون إلا بين مائتي مائتين ، ذلك لأن الطاقة والحرارة والحياة المائية والأسماك وغيرها تختلف بين أعلى الموج وأسفله ... مع العلم أن الإنسان العادي بدون أجهزة ومعدات خاصة لا يستطيع الفوص في الماء أكثر من ثلاثين متراً؛ لأن الفوص أكثر من ثلاثين متراً يسبب خروج غازات الدم الخاصة وتحدث بذلك الوفاة .

وقد وصف الله تعالى هذه المنطقة من البحر فقال : « أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوَاجٌ فَوْقَهُ سَاحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » النور (٤١) .



ومعنى يفشاه أي يغطيه ؛ والبحر اللّجى هو العميق الذي تحت الموج الداخلي .
والسحاب هو الموجود عادة فوق البحار .
فالموج الأول في الآية الكريمة هو الموج الداخلي العميق، والموج الثاني هو الموجود على
سطح البحار وفوقه السحاب . وهذا أيضاً من معجزات القرآن العلمية والتي لم يكتشفها
العلم إلا عام ١٩٠٠ . بينما ذكر القرآن تفاصيل ذلك من قبل (١٣٠٠) عاماً .

موضوع البراكين الموجودة في عمق البحار

تقول الآية الكريمة : (وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ، وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) الطور (١ - ٦) .
من معاني كلمة (مسجور) : الْمُسَخَّن .

ولقد ثبت علمياً وجود براكين نارية تخرج من قاع البحر، ولم يُعرف ذلك إلا في النصف الثاني من القرن العشرين .

وقد أمكن تصوير هذه البراكين وقياس حرارة الماء الموضعية حول النار الخارجة من قاع البحار .

وكلمة (المسجور) أي الْمُسَخَّن، تدل على وجود نار تحت البحر ، فتسخنه، وهي نار البراكين المكتشفة حديثاً . وقد تكلم القرآن عنه قبل عشرات القرون . وهذا دليل قاطع على أن القرآن وحي الله أنزله على . . محمد صلى الله عليه وسلم .

موضوع الجبال وكونها أوتاداً للأرض.

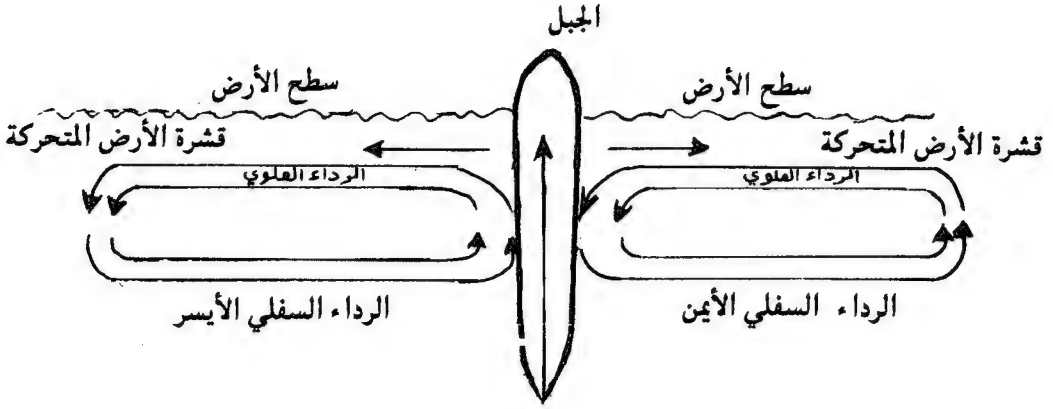
تقول الآية الكريمة : (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ)، سورة

النحل ١٤.

وتقول الآية الكريمة الثانية : (وَالْجِبَالِ أَوْتَاداً)، النبأ (٧) .

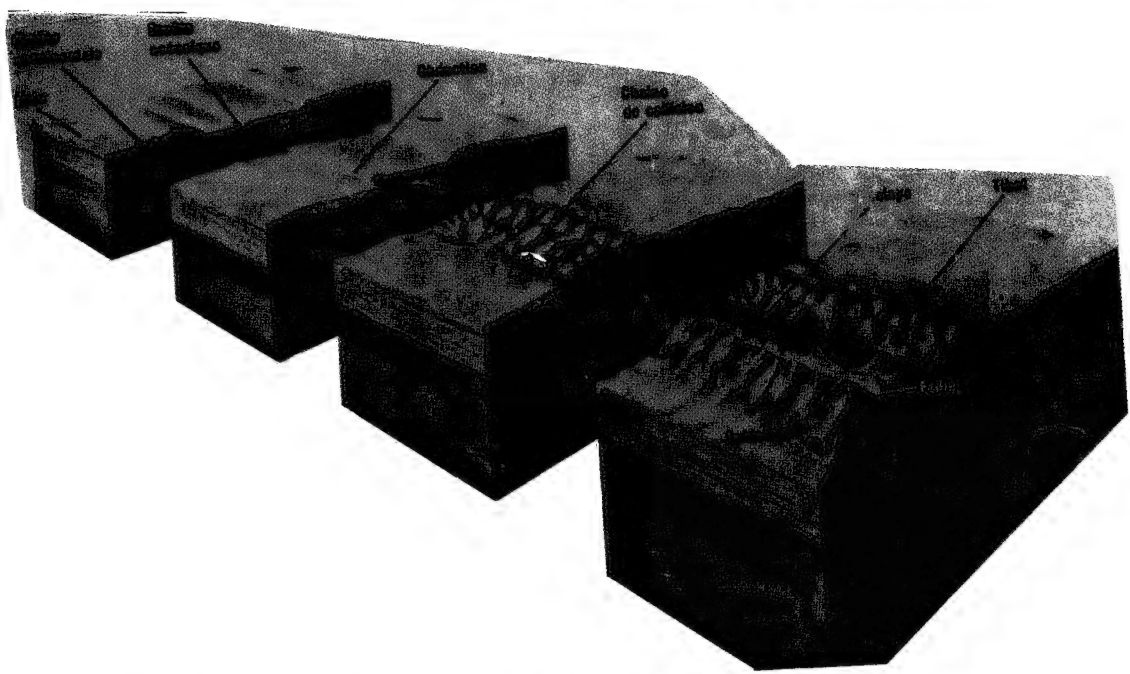
وتقول الآية الثالثة : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)، الطارق

(١٢ - ١٣) . ولنشاهد الآن مدى توافق المكتشفات العلمية مع القرآن الكريم .



إن حركات طبقات الأرض الكائنة تحت قشرتها، باتجاه السهام الظاهرة في الصورة، تُسبب ضغطاً هائلاً من الأسفل إلى الأعلى، باتجاه السهم الموجود في المنتصف، ونتيجة لهذا الضغط تتكون الجبال / راجع الصورة رقم ٢ / . لقد ثبت علمياً أن الجبل يمتد أربع مرات ونصف تقريباً داخل طبقات الأرض السفلى، حسبما أثبتته وسائل التصوير الهولوجرافي . ويُلاحظ حسب الصورة، أن الجبل يشبه الوتد تماماً ، وقد ثُبِتَ بفحص الطبقات الأرضية الموجودة على يمين ويسار الجبل، أنها تختلف تماماً عن الجبل نفسه ، والصورة السابقة تفسير وتوضيح للصورة الموجودة أدناه ، حيث أن خيال الجبل لم يظهر بسبب سواد الصورة

الشديد. والصورة منقولة من مجلة العلم والحياة الإفريقية عدد (٨٣٩) آب ١٩٨٧ .



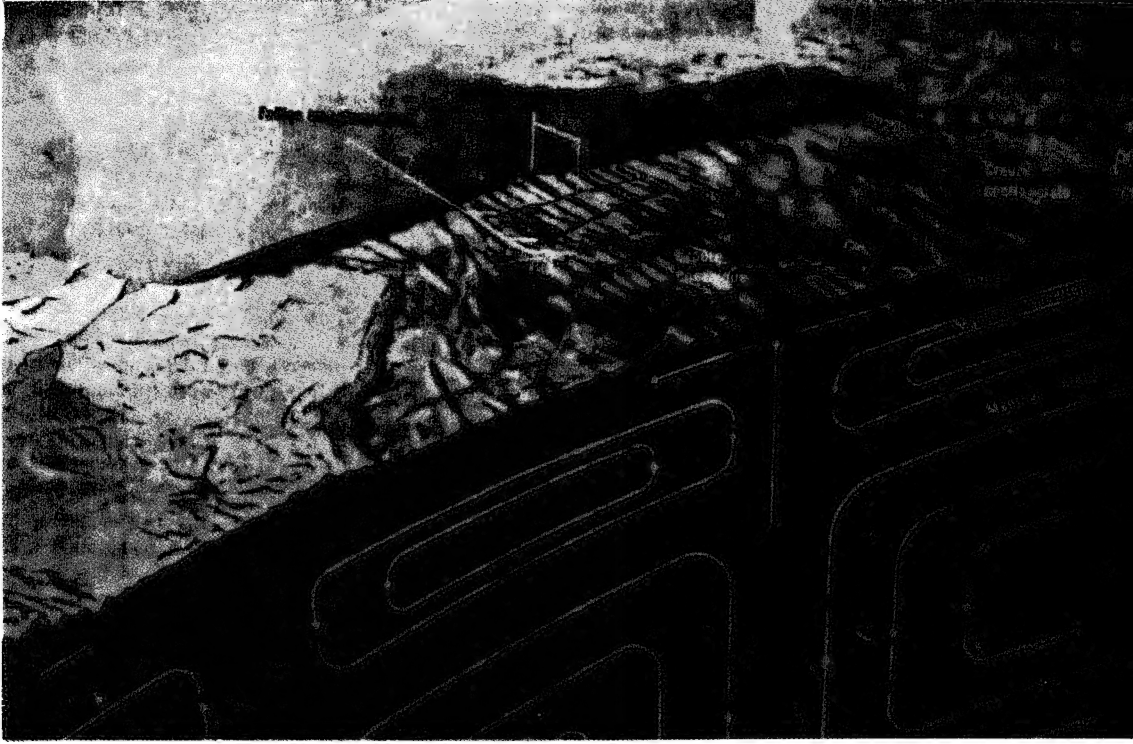
ففي الصورة **اعلاه** يُشاهد نشوء جبال الهيمالايا من ضغط كتلتين ضخمتين من القشرة الأرضية بينهما بحر، وقد جرى الضغط تدريجياً خلال ما يُقدَّر بـ (٩٠) مليون سنة، وبرزت بين الكتلتين جبال الهيمالايا، لذلك فإن ذروة جبال الهيمالايا تشابه تماماً قاع البحار .

فالأيات الكريمة التي سبق ذكرها تتوافق مع ماثبت كشفه علمياً على غرار ماسبق ، فالأرض تتصدع وتتحرك بشكل دائم، ولكن ببطء لا يُحسّ به، والجبل الذي يخرج من باطن الأرض إلى سطحها، يكون بمثابة الوتد الذي يثبت قشرة الأرض عن جانبيه ، ولذلك قالت الآية الكريمة: (**وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**) النحل (١٥) . أي لتستقر الأرض ولا تضطرب بمن عليها .

والآية الثانية: (**وَالْجِبَالِ أَوْتَاداً**) . أما الآية الأخيرة: (**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**)

فمن معاني هذه الآية ، النجوم والكواكب التي تدور وترجع إلى أماكنها،ويمكننا أن نفسر آية: (وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ) بأن الصدع هو التشقق الحاصل من ضغط كتلتين من القشرة الأرضية .

وهذا أيضاً كشف علمي لم يَعْرِفْ إلّا في القرن العشرين،بينما أشار إليه القرآن بوضوح في القرن السابع.ولعمري،فإن هذا لَمِنْ أَهم ماثبت أن القرآن وحي الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لايمكن أن يَعْرِفَ واحداً من المليون مما عُرِفَ في القرن العشرين بواسطة الأجهزة العلمية الضخمة المعقدة والتكنولوجيا الحديثة .



موضوع الجاذبية الأرضية

يقول الله تعالى في كتابه المعجز : (أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا)، المرسلات (٢٥ - ٢٦) . والكفات مشتقة من كفت ومعناها الجذب والضم والجمع ، فموضوع أن الأرض لها جاذبية ، لم يُكتشف إلا عام ١٦٨٨ من قبل العالم (نيوتن) ، فعكف بعد ذلك على فهم قانون الجاذبية فاكتشفها كلها ونظمها تنظيماً رياضياً علمياً ، والذي يهمنا في هذا العرض هو أن القرآن الكريم أشار بوضوح أن الأرض تجذب الأجسام نحوها، قال هذا قبل ألف سنة تقريباً حيث سبق الكشف العلمي الحديث .

وإنما نسبة المعجزات العلمية للقرآن والخوارق الإلهية التي تُشاهد في هذه الدنيا بين حين وآخر، أُعجبت كثيراً بكلمة الدكتور المهدي بن عبود، تلك الكلمة التي كتبها في مقدمة كتاب : فلا تنسى الله ، للسيدة ليلى الحلو بالمغرب العربي، والتي تذكر قصتها في الكتاب المذكور؛ إذ كانت قد أصيبت بسرطان الثدي وانتشر في كل جسمها، وقد يش الأطباء من شفائها في فرنسا وبلجيكا ، وقدرُوا حينئذ أن حياتها ستستمر ثلاثة أشهر فقط ، لكنها بإيمانها رفضت هذا الحكم بالإعدام، فسافرت في رحلة إيمانية إلى مكة المكرمة لتتمتع بالعمرة وتدعو الله تعالى في مهبط الوحي ؛ وقد أمضت معظم مدة مكوثها في مكة المكرمة قرب الكعبة المشرفة تدعو الله تعالى ليلاً ونهاراً وتتطلع دائماً من ماء زمزم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ماء زمزم لما شرب له ، فماهي إلا فترة قصيرة حتى تقبل الله تضرعها ورجاءها، فأنعِمَ عليها بالشفاء التام. ظهر ذلك بعد أن فحصها أطباؤها الأول، وقد أخذهم العجب حين شاهدوا هذه المعجزة الإلهية .

وبعد فترة وجيزة انتكس عليها الداء ثانية في الرئة، فسافرت إلى فرنسا وبلجيكا ثانية، ونالها عذاب شديد من الأعراض الثانوية التي ترافق العلاج الكيميائي الخاص بمرض السرطان ، وفي هذه المرة أيضاً يتيسر أطباؤها من شفائها، لكنها لم تفقد أملها في الله عزوجل، وظلت تشاير على قراءة القرآن والدعاء بأدعيتها الخاصة ، وفي إحدى الليالي شاهدت الرسول صلى الله عليه وسلم في الرؤيا وهو يُمسك برأسها ويبشرها بالشفاء ، وفعلاً شرع التحسن يبدو عليها تدريجياً حتى سُفيت تماماً؛ وألقت بعد ذلك كتابها المشهور (فلا تنسَ الله) وهي تحكي قصة مرضها وكيفية شفائها .

ويضيف الدكتور مهدي بن عبود : إنَّ من يُنكر الخوارق الإلهية صنفان من الناس، فنصف ينكرون الخارقة فقط، ونصف ينكرون وجود الله أصلاً .

فالقسم الأول، يؤمن أن المعلوم بالنسبة للمجهول ضئيل، وأن الإيمان شيء إيجابي، والجحود أو النكران شيء سلبي، فتأخذه الدهشة ثم يفرح ثم يؤمن بصدق ما حدث. والقسم الثاني، ينطوي على سوء ظن بكل شيء في كبرياء وخيلاء ، أي ما يسميه الطب العقلي عند ذوي المزاج الخيالي أي المصاب بـ (جنون العظمة) Paramoia، فهو حينما يميل إلى الجحود فكأنه أحاط بكل شيء علماً .

قل للذي يدعي علماً ومعرفة علمت شيئاً وغابت عنك أشياء
فالإنسان قبل ولادته وأثناء تكوينه وبعد وفاته وفي مراحل حياته، ينتقل من غيب إلى غيب ، فإن كان يتمتع بشيء من الرزانة والرشد والثبات فإنه يقبل هذا الغيب الذي لا ينكره الكامل المنصف ، أما إذا غلبه الهوى والعناد، ودعوى بأنه يحيط بكل شيء علماً، فإنه يسجن نفسه في قصص العناد والكبر والتعاليم والأوهام. إنَّ أدعياء الثقافة المتشبهين بالمتقنين، يدعون الإحاطة بكل شيء، فيغفلون عن المجهول وينكرون علم الغيب ، كأنهم ذهبوا إليه ولم يجدوا فيه شيئاً ، وآفة ذلك كله الكبر والغرور ، فرحم الله امرأة عرف حده فوقف عنده .

١ - الطبع المتكبر الخيالي، ميال إلى الشك والهدم والرفض والمعارضة، فهو مغلق القلب إزاء البرهان والبديهة والوضوح ، لذلك فإن قبول حقيقة ما وراء الطبيعة، أو رفض ذلك، موكل للطبع ، فإذا كان المزاج معتدلاً كان الموقف العلمي أيضاً معتدلاً؛ وإن كان مضطرباً غلب عليه الغلو في الإفراط والتفريط وقساوة القلب .

وإن أهل الرفض كثيراً ما يصيبهم القلق، مثل جان بول سارتر. أو الجنون، مثل أوغست كونت أو فريدريك نيتشه الذي قضى حياته في مشفى الأمراض العقلية ، ذلك لأن عجرتهم تجعلهم ينكرون عالم الغيب، وكأنهم زاووه واختبروه، وأجروا فيه التجارب والبحوث فلم يعثروا فيه على ضالتهم أو لم يظفروا به إطلاقاً .. وهكذا يُخيّل إليهم وكأنهم قد أحاطوا بكل شيء علماً ، إن المؤمن بعد قراءة قصة السيدة ليلى الحلو سيجد برهاناً وصبراً وإنشراح نفس يضيفه إلى يقينه ؛ والمتشكك غير المتلاعب، سيدخل في شباك الخيرة والتردد المولتان .

أما المتكبر الذي لا يقاس كبره إلا بسطحية فكره، فإنه يقابل القصة باستهزاء كوسيلة لتغطية جهله ورعونة طبعه ، والتجربة تعلمنا أن الإستهزاء من خصال المنافقين الذين يكذبون على أنفسهم وعلى غيرهم. إن الإنسان لا يدري من أين جاء وإلى أين يسير بعد الموت، كما لا يعلم كيف تتركب هذا الكون

كيف تتركب هذا الكون المدهش المتنوع ولماذا تتركب، ولا يعلم شيئاً عن مفاتيح الغيب المذكورة في القرآن الكريم، ويفعل أيضاً عن أن عالم الشهادة نفسه، بعضه ظاهر محسوس وبعضه بعيد ومخفي عنه كالمعجزات، والبعض الآخر خفي غامض كجواهر الطاقة الكهربائية المغناطيسية وما وراءها من مجاهيل .

إن العقل السليم هو الذي يعترف بحدوده، ويقول مثل سقراط : كل ما أعرف هو أنني لا أعرف شيئاً. ثم يقتنع كما اقتنع الفيلسوف باكون، حيث قال : إن قليلاً من العلم والفلسفة يبعد عن الله، وإن كثيراً من العلم والفلسفة يقرب من الله (١) .

وهكذا فقد تبين للقارئ الكريم الإعجاز العلمي في صوره المختلفة من القرآن الكريم، وفي آيات معدودة قليلة، ولم نستقص الآيات العلمية كلها فيه. وهي كثيرة - ولو شئنا ذلك لاحتجنا إلى سفر كبير ومجلدات ضخمة، لكننا اقتصرنا على بعضها، تسهيلاً على القارئ واختصاراً للكتاب الذي توخيت في تأليفه الموضوعات العلمية المهمة التي تتناول الكون والحياة والإنسان ، والتي تشغل بال الكثيرين من المسلمين، ويجعلها غير المسلمين . . . بشكل مختصر ومفيد بحيث يحيطون بمجمالها دون تفاصيلها. ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى المصادر التي استقيت منها، وغيرها، وسيجد أن القرآن حقاً بحر زاخر للعلوم والمعارف، وكنز ثمين للأحكام التي تصلح للبشرية جميعاً وتسعدهم، وأنه بحق وصدق وحي من الله تعالى أوحاه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون حجة مادية قائمة في كل وقت، وبياناً ساطعاً ماثلاً للعيان في كل عصر على أنه رسول الله .

ولك أيها القارئ الكريم بعد الإنتهاء من هذه البيانات المعجزة، أن تسأل نفسك : ترى من الذي علم محمداً صلى الله عليه وسلم، وهو الإنسان الأمي الذي ما قرأ كتاباً ولا خطه بيمينه ، هذه الحقائق العلمية الباهرة في الإنسان والسماء والأرض والجبال والبحار والتي

(١) الدكتور مهدي بن عبود ، من مقدمة كتاب (فلا تنسى الله) .

أثبتها علمياً غير المسلمين وتوصلوا إلى تلك النتائج العجيبة التي كانت غيباً قبل الآن فصارت حقائق علمية ملموسة في عصرنا هذا ؟ الأيدل ذلك كله على أنه تنزيل من حكيم حميد ؟! وصدق الله تعالى إذ يقول: « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . (صورة فصلت ٥٣) .

وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول في القرآن :
(فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله تعالى، ومن ابتغى الهدى من غيره ، أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه (١) .

(١) أخرجه الترمذي من كتاب البرهان في تجويد القرآن ص ٧٧. محمد الصادق حمادي .

الفوائد الطبية للعسل

تقول الآية الكريمة في سورة النحل : ... «ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلِكَ يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» .

للعسل فوائد طبية كثيرة، فهو مزيل للتعب، ومنشط، لوجود مادة الفوسفور والغلوكون والفروكتوز فيه، ويفيد خاصة للمفكرين، ومن يعمل بدماعه. وهو كذلك ينظم حركات التنفس ويفيد المصابين بالأمراض الصدرية، وبالنظر لوجود سكاكر بسيطة فيه سهلة الامتثال، يفيد في وقاية الكبد، وفي قصوره. وفي الولايات المتحدة يعالجون المدمن على الكحول بالعسل لأنه يخلص الدم من الكحول وآثاره الضارة .

وللعسل فائدة أيضاً في جهاز الهضم، لوجود خمائر خاصة فيه تساعد على الهضم؛ ويفيد في قرحة المعدة إذ يُسَكِّن نوعاً ما آلامها ويساعد على سرعة إلتئامها .
وفيد العسل أيضاً للأرق، وذلك بتناول ملعقة صغيرة مساءً منه قبل النوم .
ويستعمل أيضاً العسل بنجاح للتشنجات العضلية الليلية، على أن يؤخذ ملعقة صغيرة قبل الطعام ثلاث مرات يومياً .

Original Articles

Natural Honey Prevents Indomethacin - and Ethanol - induced (Gastric Lesions in Rats).

Abu T.M.M.Ali , Mohammad S . Al- Humayyd ,
Baldev R. Madan

Saudi Medical journal 1990 ; 11(4) : 275 - 279

يُحَضَّرُ النحل العسل الطبيعي من رحيق نباتات متعددة ، وقد شغل العسل مكاناً بارزاً في الطب خلال تاريخ العالم الطويل . وَصَفَتْ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَحَادِيثُ شَرِيفَةٍ ، نَالِيَةِ الْعَسَلِ بوضوح في عدد من الأمراض بما في ذلك اضطرابات السبيل المعدي المعوي .
«يث أن الدراسات العلمية المنهجية لدعم المميزات الطبية للعسل قليلة، فقد تمَّ تحري تأثيرات العسل على الآفات المعدية المحدثة تجريبياً عند الفئران ، وُجِدَ أن هناك حماية

منوطة بالجرعة ضد الآفات المحدثة بالأندوميثاسين حيث وجدت حماية تقارب ١٠٠٪ ضد الأذية المعدية مع أكبر جرعة من العسل ، لكن الحماية كانت ناقصة (٥٨٪) ضد الآفات المعدية المحدثة بالإيثانول . تقترح هذه النتائج في دراستنا المبدئية أن للعسل فعالية مضادة للمقشرات يمكن أن تكون مفيدة سريرياً في الوقاية أو في إنقاص وقوع الآفات المعدية إذا أعطي بشكل متزامن مع دواء مقرح كامن . تعطي هذه الدراسة دليلاً مجهرياً وعينياً لدعم ما ذكر في القرآن الكريم والحديث الشريف .

The Pharmacological Characterization and the Scientific Basis of the Hidden Miracles of Honey

Abu T . M . M . Ali

Saudi Medical Journal 1989 ; 10(3) : 177 - 179 .

العسل هو سائل لزج بشكل واضح، يُحضّر من قبل النحل من رحيق النباتات المختلفة . تم ذكر الخصائص الشفائية له في القرآن الكريم ودُعيت بالأحاديث الشريفة ، وقد بدأت الأسس العلمية التي تدعم معجزات العسل بالظهور . تمت مناقشة الخصائص الدوائية للعسل ، والإستخدامات السريرية كمضاد للإسهال ، مضاد للجراثيم ، مضاد للفطور ، مضاد للسعال ، مقشع ، كمادة تغذوية ومحضض على التئام الجرح . كان الغرض من هذه المراجعة تحديد الخصائص الدوائية ذات الصلة بمعجزات العسل وربط ذلك مع وحي القرآن الكريم والحديث .

وثبت مخبرياً وسريعاً وجود خاصية مبيدة للجراثيم في العسل. أما العسل الملكي (الذي تأكله ملكة النحل) فهو إضافة على العسل العادي، يحتوي على نسبة عالية من البروتينات، وخاصة الحموض الأمينية الأساسية، وعلى مجموعة الفيتامينات ب خاصة الفيتامين ب٥ الذي له دور مهم في استقلاب الخلايا .

(نقلاً عن مقال للدكتور أنور نعمة في مجلة المستقبل) .

وإن أهم الأبحاث العلمية عن العسل جرت في الإتحاد السوفيتي، وعلى نطاق واسع سواءً باختيار أنواع نحل خاص، أو باختيار التربة التي تزرع عليها النباتات المزهرة أو بإضافة أسمدة خاصة على التربة تحتوي على معادن خاصة والخ ... من الأبحاث .

فكانت النتيجة أن العسل ظهر له فوائد طبية كثيرة لأجل قروح القرنية، ولأجل الحروق، وللعالجة القروح المزمنة الملتهبة .

أما في فرنسا، فقد صنعت بعض معامل الأدوية من العسل الملكي علاجاً بشكل إبر للشرب اسمها آيسروم Apiserum لمعالجة كافة الحالات المرضية المذكورة سابقاً، مع الملاحظة أن تجارب علماء الطب في فرنسا أثبتت أن علاج الإبيسيلروم يخفف نوعاً ما أعراض السرطانات كالآلام والنحول الشديد ويساعد كثيراً المعالجات الخاصة النوعية له والعرضية .

إن للأملاح الموجودة بالعسل، دوراً هاماً في سلامة أعضاء الجسم البشري، ومنها البوتاسيوم، الكالسيوم، الصوديوم، الحديد، المنغنيزيوم، اليود، الكبريت، الفوسفور، والكلور . ويحتوي العسل أيضاً على العناصر المعدنية النادرة مثل المنغنيز والسيليسيوم والكروم والنحاس والأمونيوم والليثيوم والنيكل والرصاص والزنك التيتان والأوزميوم . والعسل غذاء ضروري جداً للمسنين خاصة المصابين بضعف العضلة القلبية - وضروري جداً للأطفال، حيث يساعدهم على النمو الجسمي والعقلي ويحميهم من الأمراض . وكذلك الحوامل، فإنها تستفيد جداً من العسل، ويفضل أن تستعمله بدلاً من السكر، كما أنه يخفف الوحام، ويعتبر العسل دواء ناجحاً لمعالجة التبول الليلي عند الأطفال، كما يفيدهم جداً في دور التسنين لاحتوائه على الكالسيوم . ويعتبر العسل مفيداً في الآلام العضلية الحادة الناتجة عن تشنجهما، وهو مهدئ عصبي ونفساني، وإن أخذ ملعقتين صغيرتين قبل النوم يجعل النوم هادئاً وخالياً من الأحلام المزعجة . كما يفيد في الأمراض الحادة والمزمنة للكليتين والجهاز التنفسي بسبب خواصه القاتلة للجراثيم والمثبطة لنموها . إن ما ذكر سابقاً يكفي لإظهار معجزة قرآنية أخرى من معجزاته الكثيرة .

لهذا حَرَّمَ الله لحم الخنزير

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوْدَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيْعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا
ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسُقُ» (المائدة ٣) .

لحم الخنزير :

* الخنزير بذاته مُنْفَرِّ للطبْعِ النَظِيفِ القويم .

* حرمه الله منذ الأمد الطويل، ليكشف علم الناس منذ قليل أن في لحمه ودمه دودة شديدة الخطورة وهي الدودة الشرطية، التي تعيش في فضلات الخنزير على هيئة أكياس ، والتي إذا أكلها الإنسان في لحم الخنزير غير المطهو جيداً تنمو اليرقات الموجودة في هذه الأكياس ، وتصبح دودة كاملة تسكن في أمعاء الإنسان، ويبلغ طولها عند تمام نموها من مترين إلى ثلاثة أمتار ، ثم تضع هذه الديدان بيضها في الأمعاء للخروج مع البراز ليأكلها الخنزير، ثم يفقس البيض بمعدة الخنزير، وتنطلق منه اليرقات لتسكن في عضلاته على شكل أكياس تصيب الإنسان إذا أكل لحم خنزير لم يتم طهوه جيداً. وإذا دخلت البويضات إلى معدة الإنسان نتيجة تلوث طعامه بالبراز المحتوي على هذه البويضات، عن طريق طبّاخ أو خادم أو بائع للمأكولات - وخصوصاً التي لا تطبخ؛ فعند وصول هذه البويضات إلى المعدة يهضم جدار البويضة، وتنطبق اليرقة لتثقب جدار المعدة، وتصل إلى الدورة الدموية؛ وعن طريقها، إلى أي جزء من الجسم وأخطرها القلب والمخ .

وهناك نوع آخر من اليرقات، تلك التي تعيش في أكياس داخل عضلات الخنزير، وهي أكياس الدودة (الترنجيا) ويصاب بها الإنسان إذا أكل لحم خنزير غير مطهو، فعندما تصل الأكياس الموجودة في لحم الخنزير إلى معدة الإنسان ، ويتم الهضم، تنطلق اليرقات لتخرق جدار المعدة وتصل إلى الدورة الدموية ومنها إلى أجزاء الجسم المختلفة .

فالأكياس التي تصل إلى العضلات ينشأ عنها آلام روماتيزمية شديدة، وقد تكون

هذه عضلات اللسان أو الحنجرة، أو عضلات الصدر أو الفكين أو الأذرع أو الأرجل أو عضلات البطن ..

وقد يقول بعضهم، أن وسائل الطهو الحديثة قد تقدمت، فلم تعد هذه الديدان وبويضاتها مصدر خطر، لأن إبادة مضمونة بالحرارة العالية التي توفرها وسائل الطهو الحديثة، وينسى هؤلاء الناس أن علمهم قد احتاج إلى قرون طويلة ليكتشف آفة واحدة أو آفتين ، فمن ذا الذي يجزم بأنه ليس هناك آفات أخرى في لحم الخنزير لم يُكشَف بعد عنها؟ . وقد يقول قائل أن هناك دودة أخرى متشابهة لتلك التي تصيب الخنزير، ولكنها تصيب البقر وتسمى (تينا ساجيناتا)؛ ولكن الفرق بين هذه وتلك، أن الدودة التي تصيب الخنزير تتخذ من الخنزير عائلاً وسيطاً لها لا تستطيع أن تستكمل بقية دورة حياتها إلا في الإنسان الذي يعتبر عائلاً نهائياً لها .

أما الدودة التي تصيب لحم البقر، فهي تتخذ من البقر عائلاً وسيطاً ونهائياً، فلا تحتاج إلى جسم الإنسان لكي تُبتم فيه دورة حياتها، فوجودها في جسم الإنسان محكوم فيه بالفشل والفناء .

وجود أكياس هذه الدودة في أمعاء الإنسان إنما جاء عن طريقة عرضية سليمة من تناول لحوم بقرية غير مطهورة طهواً جيداً .

أفلا تستحق الشريعة التي سبقت هذا العلم البشري بعشرات القرون، أن نثق بها ونُدع كلمة الفصل لها ، نُحرّم ما حرّمت ونُحلّل ما حلّلت وهي من لدن حكيم خبير . والذي يستوجب التفكير في حكمة الله تعالى في تحريم لحم الخنزير، أن هذه الأكياس لا يُعرَف لها علاج حتى الآن، وأن الوقاية منها خير سبيل لتجنبها .

وكتب الدكتور فريدريك فنيسيا، مقالاً نشرته انتكرا في عددها الثاني من عام ١٩٧٨، يقول :

لقد أقام الدكتور ريكويج الألماني، وهو مؤسس نظرية التسمم البشري، عدة تجارب اختبر فيها لحم الخنزير على الحيوانات المخبرية والفئران التي كانت تتغذى بلحم الخنزير .

(نقل عن جريدة البهان)

فأعطت نتيجة، وبشكل كبير، مظهره قابلية إصابتها بظاهرة أكلها بعضها البعض، وبأمراض جلدية. وكذلك إصابتها بالسرطان، هذا بعد عدة أشهر من تغذيتها بلحم الخنزير. وظهرت نفس الأعراض في كلاب البوكر. أما الأسود والنمور فقد أصيبت بارتفاع الضغط الدموي من لحم الخنزير، وقد سُميت المادة السامة بلحم الخنزير باسم سودوتوكسين Sudotoxine وهي مادة دهنية تغزو الدورة الدموية وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط. وكذلك يحتوي لحم الخنزير على نسبة عالية من متعدد السكر المخاطي، وهي تسبب ترهلاً للجسم وإصابته بالأمراض الرئوية والفقرية. وكذلك فإن لحم الخنزير غني جداً بهرمونات النمو ومادة البانزوبيتين . . . وهي تسبب الأمراض الورمية والسرطانية (١).

فلو لم يكن القرآن من وحي الله تعالى، ما كان للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ذلك البدوي الأمي الذي كان في فترة من حياته يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، أن يعرف كل هذه المعلومات الطبية السابقة وأضرار لحم الخنزير، لكي يحرمه في القرآن الكريم.

(١) اختار هذه المعلومات الدكتور محمود بريشة .

نُحْوِيمُ الْخَمْرِ

يقول الله تعالى في القرآن الكريم بسورة المائدة آية ٩٠ - ٩٢ :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ
مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
يُوَلِّعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

يقول هاريسون، الأمريكي، في كتاب خاص عن الخمر، إنه يوجد تسعة ملايين
أمريكي يعانون من الإدمان، وذلك بين رجل وامرأة . وهذا يسبب كل عام ٢٥ ألف حادثة
وفاة بحوادث السيارات و ١٥ ألف حالة قتل وانتحار و ٢,٥ مليون حالة اعتقال بوليسية سنوياً .
وتكلف الخمرة الولايات المتحدة ١٥ ألف مليون دولار سنوياً، يُصْرَفُ منها ١٠ آلاف
مليون دولار نتيجة تلف الممتلكات والخسارات، وتهدى الخمرة للإصابة بسرطان المري والمعدة،
وأن ٨٥٪ من مدمني الكحول^(١) يصابون بتشمع الكبد، ويموت في فرنسا سنوياً ٢٢٥٠٠
شخصاً بسبب إصابة الكبد من الكحول، وهو العامل الأول في التهاب البنكرياس الحاد .
ويسبب الكحول ٣٥٪ من التشوهات الولادية عند الأمهات الكحوليات .

وباختصار، يسبب الخمر الحالات المرضية التالية :

- أولاً : تثبيط وظيفة قشر الدماغ وتعطيلها ؛ ويؤثر الخمر على التشكلات
الشبكية في الدماغ المتوسط والمخيخ والجذع المخي والأعصاب القحفية والشوكية .
- ثانياً : التهاب المري والمعدة وإثارة السرطان فيهما .
- ثالثاً : التهاب البنكرياس الحاد وتشمع الكبد .
- رابعاً : اعتلال العضلة القلبية وتسريع حوادث التصلب الشرياني .
- خامساً : اضطرابات سوء الإمتصاص والإصابة بمختلف أنواع فقر الدم .
- سادساً : أمراض نفسية كثيرة مثل الهذيان الإرتعاشي، والتأخر العقلي وتناذر
كورساكوف المرضي العصبي .

(١) الكحول كلمة محرفة عن أصلها في اللغة العربية وهي (الغول)، وقد استعملها القرآن الكريم في
وصف خمر الجنة فقال تعالى : (لاَ غَوْلَ فِيهَا) .

ونعود فنتساءل دوماً أمام كل معجزة من معجزات آيات القرآن الكريم . كيف عَرَفَ
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كل هذه المعلومات والإختلاطات المرضية لكي يحرم
الخمر . لذا فإن ماتقدم هو مرة أخرى بجانب الوحي الإلهي للقرآن الكريم .

مجموعة عديدة لا عجز القرآن الكريم : تساوي الألفاظ المترابطة والمتناقضة في القرآن

مثال المترابطة : الدنيا-والآخرة ، الإيمان-والعمل الصالح ... وهكذا. إذ تكررت كل واحدة منها « ١١٥ » مرة .
والمتناقضة : كالملائكة-والشياطين ، والليل-والنهار. إذ تكررت كل واحدة منها « ٨٨ » مرة .

وهناك توازن رقمي، فمثلاً تكرر لفظ الشهر ١٢ مرة بعدد شهور السنة، ولفظ اليوم ٣٦٥ مرة بعدد أيام السنة ، وصدق الله العظيم إذ يقول :
« وَلَوْ كُنَّا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » .

أفيمكن أن يُقال عن هذا التساوي وذلك التوازن، أنه صدفة كما زعم البعض .
إن قولهم « صدفة » خطأ جسيم وقول سقيم وذنب عظيم، لأن الصدفة أمر يتم بلا تدبير وتفكير وبلا هدف أو قصد ، وحاشا أن يقع في ملك الله عز وجل شيء بلا تدبير وبلا قصد وبلا هدف ، فكيف بالقول في كتابه العظيم، القرآن الكريم، فلقد وُضِعَت الصدفة موضع الدراسة العلمية والعملية والمعملية، بعد أن أشاع الماديون والملاحدة أن الخلق قد تم صدفة ... فبدأ العلماء بدراسة احتمال الصدفة في تكوين الخلية الحية، وهي في خطواتها الأولى التي هي أساس الجسد الحي، ألا وهي تكوين البروتين الحي الذي يتكون من خمسة عناصر وهي (الكربون والإيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت) من بين « ٩٢ » عنصراً موزعاً في الكون ، واحتمال إجتماع هذه العناصر تحديداً (أي الخمسة) دون باقي العناصر، فقام العالم السويسري تشارلز يوجين بحساب هذه الاحتمالات، فوجد أن احتمال

قيام هذا الاجتماع بالصدفة هو "١" إلى رقم "١٠" مضروباً بنفسه "١٦٠" مرة. أي رقم لا يُنطَق به ولا يكتب ولا يمكن التعبير عنه ، وأن كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالصدفة لَتَكُونُ جزءاً واحداً من البروتين بناءً على هذا الحساب الدقيق، لا يتسع لها هذا الكون الضخم الذي يعجز عن تصويره الإدراك، إذ يجب أن تزيد عليه حجماً ووزناً بملايين المرات وتحتاج إلى عدد سنوات قدرها العالم المذكور بأنها "١٠" مضروبة بنفسها "٢٤٣" مرة من السنين .. !. وكان ذلك في الوقت الذي كانت العناصر المعروفة هي "٩٢" عنصراً، والآن وقد زادت هذه العناصر إلى "١٠٢" فيا السخافة كلمة "الصدفة" .

إنه يشير، بل يؤكد، استحالة قيام الصدفة في الخلق .. علمياً .. وعملياً .. ورياضياً. واتجه علماء الحساب إلى دراسة احتمالات الصدفة عملياً في غير الخلق بل في أيسر وأسهل أمر. في زهر الطاولة وأوراق اللعب، فوجدوا مثلاً استحالة أن يلقي الإنسان بالزهر ليتساوى رقما الزهر في كل مرة مع اختلاف الرقم حيث نتابع الأرقام الستة في ست رميات. فالاحتمال في ذلك هو كالاتي : واحد من عدد لا يُقْرَأ ولا يُعْرَف ولا يُسْمَع . وكذلك الأمر في تتابع نزول أوراق اللعب .. وعلى ذلك فإن العلماء على اختلاف تخصصاتهم وشتى دراساتهم، أصدروا قراراً علمياً بأنه (لا صدفة فيما يقع في هذا الوجود، إنما هو تدبير وقصد وهدف) .

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للعلماء العلميين فكيف بالنسبة لعلماء الدين، وفي كتاب الله الكريم . . القول العظيم .. والحديث الحكيم . أيكون ما فيه صدفة .. ؟! استغفر الله العظيم القائل :

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . » الأنعام : ٥٩ .

ويقول جل جلاله عن كتابه الكريم وقرآنه المبين :

سورة هود: (١١): « أَلَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

خَبِيرٍ » .

فهل بعد هذا من يقول بالصدفة في أي شيء يقع في الوجود .. ؟. وهل يُظَنُّ مجرد

ظن، أن الآيات التي أُحْكِمَتْ ثم فصلت، يُحْتَمَلُ أن يقع فيها أو يجري عليها حكم الصدفة !
استغفر الله العظيم .. ولا إله إلا الله ^(١) . وصدق الله تعالى حينما قال في الآية الأولى من
سورة هود : « أَلَرَأَيْتَ أَكْهَمْتَ آيَاتَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » .
إخبار القرآن الكريم عن الوقائع المستقبلية

سأذكر هنا بعض الوقائع التاريخية التي تنبأ بها القرآن ، وهي
معجزات تضاف على ما سبق من المعجزات العلمية والعددية والرقمية :
المعجزة قالوا لى : قال تعالى : (أَلَمْ نَغْلِبِ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ
مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بَضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ
وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بَنَصَرَ اللَّهُ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .
الروم : ١ - ٤ .

بدأت الحرب بين الفرس والروم عام « ٦٠٣ » من الميلاد، وانتهت عام : « ٦١١ » منه ،
بانتصار الفرس على الروم ، وكما ذكر القرآن الكريم انتصر الروم على الفرس بعد بضع
سنين، لأن كلمة بضع في اللغة العربية تعني فترة تتراوح من الثلاث إلى التسع، وكان نصر
الروم عليهم عام « ٦٠٩ » ميلادي .

هنا نقول : ما الذي كان يجري لو لم تحدث معركة بين الروم والفرس، أو حدثت معركة
ولكن هُزِمَ فيها الروم .. ؟! أكان يُصدق أي إنسان القرآن أو يؤمن بالدين الجديد .. ؟
ثم نقول لأولئك الذين يزعمون بأن القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم :
ما الذي يدفع محمداً إلى أن يدخل في قصة غيبية كهذه يخاطر بها ولم يطلب منه
أحد الدخول فيها، أبيضع الدين من أجل مخاطرة كهذه .. ؟ ولم يتحده فيها إنسان ... !
هل يستطيع قائد معركة عسكرية أن يتنبأ بمصيرها بعد ساعة واحدة من قيامها،
فما بالك أن يأتي هذا ويقول أنه بعد بضع سنين ستحدث معركة بين الفرس والروم وينتصر
فيها الروم .. ! وهل أمِنَ محمد صلى الله عليه وسلم على نفسه أن يعيش بضع سنين
ليشهد هذه المعركة .. ؟ .

(١) انظر : معجزة الأرقام والترقام . د . عبد الرزاق نوفل ص ٥٢ - ٥٣ بتصرف

إنه كلام الله. وأساسُ الإيمان كله يأتي بحقيقة أرضية قريبة ستحدث لغير العرب، ومن هنا كان الأمر الذي نزل في القرآن يقيناً سيحدث، لأن قائله ليس عنده حجاب الزمان والمكان. فكانت الحرب وكان النصر للروم على الفرس .
وهكذا تحدّى القرآن الكفار وغير المسلمين، في وقت نزوله، أي أنه لم يتحد العرب وحدهم بل تحدّى الكفار والمؤمنين من غير العرب، بأن أنبيأهم بما سيحدث لهم قبل أن يقع بسبع أو ثمانين سنوات لعلهم يؤمنون . (١)

(١) انظر : معجزة القرآن ، محمد متولي الشعراوي يتصرف .

المعجزة الثانية :

قال الله تعالى : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) الفتح : ٢٧ .

وهذا الذي حصل فعلاً، فقد دخل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وأصحابه، مكة، فاتحين لا يخافون بعد ذلك ، وهذا تأكيد على أن ما وعده كان، وعلى نبوته، صلى الله عليه وسلم بإظهار المعجزات .

المعجزة الثالثة : عن الأخبار الماضية والأحداث السحيقة في القدم :

قال الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) . الكهف : ٩ .

لم يكن أحد، أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف شيئاً عن أهل الكهف، أي لم يكن يوجد أي دليل مادي على صحة ما جاء في القرآن الكريم عن قصة أصحاب الكهف، إلى أن انقضى تسعة عشر قرناً على خبرهم، ومرور أربعة عشر قرناً على ما جاء في القرآن الكريم بشأنهم. وجاء عصرنا هذا فاكشف عالم الآثار الأردني السيد (رفيق وفا الدجاني) عام ١٩٦٣ عند منطقة (الرجيب) بالأردن، مغارة الكهف التي اتخذها أصحاب الكهف موقداً لهم حين دخلوها هاربين بأنفسهم، وفارين بدينهم وإيمانهم بالله عز وجل من طغيان الملك (دقيانوس)، وظهر في الكهف ثمانية قبور، وهو العدد الذي ذُكر في القرآن عنهم .

ويقرب باب الكهف وجِدَت جمجمة كلب (الفك العلوي فقط) وكان حارسهم . وعدد أصحاب الكهف سبعة، بينهم الراعي، وثامنهم كلبهم. وقد دُفِن الكلب على عتبة الباب حيث كان يحرس، ولم يدفن في القبر الثامن .

يقول تعالى عن هذه القصة، بأسلوب القرآن البلاغي المعجز : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ . قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ ، مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَلَا تَحْزَنْ »

فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا، وَلَا تَسْتَنُفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا . « الكهف ٢٢ .

وقد دُرِست فجوات الكهف، وخاصة موضع دخول الشمس إليه، فتبين أن فتحة الكهف الجنوبية كان اتجاهها جنوب غربي ، فإذا وقف شخص داخل الكهف في وقت الأصيل تزاورت الشمس عن الكهف ذات اليمين، ومرت أشعة الشمس بقوتها أمام الشخص الواقف تكشف المراتبي والآفاق. وحين تتوسط الشمس السماء لا يدخل الكهف منها شيء. وإذا مالت نحو الغروب دخل قسم من أشعتها فجوة الكهف (١) .

فما وصف به المكتشف الكهف هو الوصف الدقيق الذي جاء فيه القرآن الكريم، إذ يقول تعالى :

« وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ، ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. وَنَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ . « الكهف : ١٧ .

ويتفسير أوضح، أن الشمس تبعد أشعتها عند بزوغها وقيل عنه في غروبها، بسبب اتجاه فجوة الكهف إلى الجنوب الغربي .

وقد وُجد على جدران الكهف كتابات بلغات قديمة مختلفة، تشير إلى وحدانية الله عزوجل . والسؤال الآن ، كيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم عن تفاصيل قصة حدثت قبل خمسة قرون من مولده ومن نزول القرآن عليه، ثم تم اكتشافها بعد أربعة عشر قرناً من إخبار القرآن. ألا يدل ذلك على أن القرآن وحي رباني نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ولادخل له فيه ؟..

« وَنَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا » آية ١٨ من سورة الكهف .
إن هذه الآية هي معجزة طبية للقرآن الكريم . إذ من المعلوم أن المصابين بفالج شقي

(١) انظر : مجلة العربي الكويتية > العدد ٣٦٧ حزيران ١٩٨٩ م. يتصرف .

أو نصفي. يجدون صعوبة كبيرة في التقلب أو الإضطجاع على اليمين أو على اليسار، وقد لا يستطيعون القيام بهذه الحركة أبداً . وإن ضغط وثقل الجسم الدائم على ناحية واحدة (كالناحية القطنية مثلاً وجانب الحوض قرب الحدة الفخذية الكبيرة) يسبب تقرحها، فينفتح جرح كبير يصعب معالجته أو شفاؤه ويسمى فشكريشة وباللغة الإفرنسية Escarre . وللوقاية من هذا الإختلاط الخطر أحياناً على الحياة ، يوصى الأطباء وأهل المريض المصاب بفالج بأن يقلّبوه على اليمين ثم على اليسار مرة كل ساعتين وذلك ليلاً ونهاراً . وهذا ما ذكرته الآية الكريمة ، علماً بأن الوقاية والمعالجة من هذه التقرحات لم تُعرف إلا منذ مائة وخمسين عاماً تقريباً .

معجزة الأرقام في القرآن الكريم

إن معجزة الأرقام في القرآن الكريم موضوع مذهل حقاً، وقد بدأ بعض العلماء المسلمين، أمثال الدكتور رشاد خليفة، والأستاذ عبد الرزاق نوفل، وغيرهم، بدراستها منذ مدة قريبة لاتزيد عن العشرين عاماً، ولولا الآلات الإحصائية والعقول الألكترونية ما أمكن دراسة وإحجاز هذا الإعجاز الرياضي الحسابي المذهل . فهذا الإعجاز مُؤَسَّس على أرقام، والأرقام تتكلم عن نفسها بنفسها، فلا مجال هنا للمناقشة أو إبداء النظريات المتناقضة، كما لا يمكن إيجاد أي حجة لرفضها، وهي تثبت إثباتاً لا ريب فيه أن القرآن الكريم هو لاشك من عند الله، وأنه وصلنا سالمًا من أي تحريف أو زيادة أو نقصان . لأن نقص حرف واحد أو كلمة واحدة، أو بالعكس، زيادتهما، يخل بكل النظام الحسابي للقرآن . وقد شاء الله تعالى أن تبقى معجزة الأرقام سرًا حتى اكتشاف العقول الألكترونية، وهذا ما يفسر الآية الكريمة رقم ٥٤ من سورة فصلت : «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» .

وجاءت الأخبار مؤخرًا من العالم الغربي، أن الإعجاز العددي للقرآن الكريم وضع موضع دراسة واختبار . كما بدأت تُعقد مؤتمرات في العالم العربي والإسلامي، تبحث عن الإعجاز العلمي والعددي للقرآن ؛ وآخر مؤتمر عُقد عام ١٩٨٩ في مكة المكرمة، وقد قَدِّم فيه عدد ضخم من الأبحاث من قبل مختلف العلماء المتخصصين العرب والمسلمين، منها عشرة أبحاث قدمت من قبل علماء من العالم الغربي .

وإليك بعض ما اكتُشف من الإعجاز .. العددي لبعض الكلمات الواردة من القرآن الكريم، نقلًا عن كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل :-

الحياة. تكررت	١٤٥ مرة	الموت. تكررت	١٤٥ مرة
الصالحات. تكررت	١٦٧ مرة	السيئات. تكررت	١٦٧ مرة
الدنيا. تكررت	١١٥ مرة	الآخرة. تكررت	١١٥ مرة

الملائكة. تكررت	٨٨ مرة	الشياطين تكررت	١٤٥ مرة
المحبة. تكررت	٨٣ مرة	الطاعة. تكررت	٨٣ مرة
الهدى. تكررت	٧٩ مرة	الرحمة. تكررت	٧٩ مرة
الشدة. تكررت	١٠٢ مرة	الصبر. تكررت	١٠٢ مرة
السلام. تكررت	٥٠ مرة	الطيبات. تكررت	٥٠ مرة
المصيبة. تكررت	٧٥ مرة	الشكر. تكررت	٧٥ مرة
الجهنم. تكررت	١٦ مرة	العلائية. تكررت	١٦ مرة
إبليس. تكررت	١١ مرة	الإستعاذة بالله. تكررت	١١ مرة

محمد والملوك وروح القدس والسراج. تكرر كل واحد منهم ٤ مرات

الرحمن. تكررت	٥٧ مرة	الرحيم. تكرر	١١٤ مرة. أي الضعف
الجزاء. تكررت	١١٧ مرة	المغفرة. تكرر	٢٣٤ مرة. أي الضعف
الفجار. تكررت	٣ مرة	الأبرار. تكرر	٦ مرة أي الضعف
العسر. تكررت	١٢ مرة	اليسر. تكرر	٣٦. أي ثلاثة أضعاف
قل. تكررت	٣٣٢ مرة	قالوا. تكررت	٣٣٢ مرة

إن الدراسة السابقة شملت فقط مائتين تقريباً من ألفاظ القرآن، مع العلم أن ألفاظ القرآن تزيد عن السبعين ألف . فكيف لو وُضعت كل ألفاظه موضع الدراسة العددية. بل كيف لو وُضعت حروفه التي تبلغ بضع مئات من آلاف الحروف ؟.

الحروف المفردة

إذا استعرضنا الحروف المفردة، والسُور التي بدأت بها، فإننا نجدها كالآتي :

رقم مسلسل	الحروف	عددها	اسم السورة
١	آلم	٣	البقرة
٢	آلم	٣	آل عمران
٣	آلمص	٤	الأعراف
٤	آلر	٣	يونس
٥	آلر	٣	هود
٦	آلر	٣	يوسف
٧	آلر	٤	الرعد
٨	آلر	٣	ابراهيم
٩	آلر	٣	الحجر
١٠	كهيعص	٥	مريم
١١	طه	٢	طه
١٢	طسم	٣	الشعراء
١٣	طس	٢	النمل
١٤	طسم	٣	القصص
١٥	آلم	٣	العنكبوت
١٦	آلم	٣	الروم
١٧	آلم	٣	لقمان
١٨	آلم	٣	السجدة
١٩	يس	٢	يس
٢٠	ص	١	ص
٢١	حم	٢	غافر
٢٢	حم	٢	فصلت

الشورى	٥	حَمْ . عُسُق	٢٣
الزخرف	٢	حَمْ	٢٤
الدخان	٢	حَمْ	٢٥
الجاثية	٢	حَمْ	٢٦
الأحقاف	٢	حَمْ	٢٧
ق	١	قَا	٢٨
القلم	١	ن	٢٩

وبتأملها . بل، ومن النظرة الخاطفة السريعة، نجد أن هناك حساباً وأرقاماً وترقيماً أكثر من أن يُعد أو يحصى . منها :

* إن عدد سور القرآن التي بدأت بها هذه الحروف هو ٢٩ وإن هذا العدد هو عدد حروف الهجاء للغة العربية التي تتكون منها سور القرآن .

* إن عدد هذه الحروف المفردة في السور التي تبدأ بها هو ٧٨ حرفاً .. وأنه نفس عدد حروف أول آيات القرآن الكريم نزولاً، وهي :

« إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .

(١-٥) سورة العلق .

أي أن عدد الحروف المفردة في أوائل السور تساوي عدد حروف أوائل آيات القرآن الكريم .

* إنه إذا استبعدنا الحروف المتكررة من هذه الحروف وجدنا أنها :

أ . ل . م . ص . ر . ك . هـ . ي . ط . س . ح . ق . ن .

وهذه عددها ١٤ حرفاً، وإذا استعرضنا السور التي لا تتكرر في فواتحها نفس الحروف

بتركيبها، وجدنا أنها سور :

البقرة . الأعراف . يونس . الرعد . مريم . طه . الشعراء . النمل . يس . ص .

غافر . الشورى . ق . القلم .

وهذه عددها ١٤ سورة .

أي أن الحروف التي لا تتكرر في الحروف المفردة عددها ١٤ حرفاً .. وأن السور التي لا يتكرر فيها نفس تركيب الحروف المفردة هي ١٤ سورة .

توافق عددي وتوازن حسابي :

لو تدبرنا عدد حروف لفظ الدنيا لوجدناها ستة حروف، وأيضاً حروف لفظ الحياة .. هي ستة حروف. وعناصر الدنيا .. هي السماوات وما فيها .. والأرض وما عليها، فهذه تشير إليها .. وتعتمد عليها. وقد قرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد خلقها في ستة أيام أي ست مراحل وذلك بمثل النص الشريف :

« **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ .** »

(٥٤ سورة الأعراف) .

ولو تدبرنا لفظ الإنسان .. لوجدناه يتكون من سبعة حروف .. ويقرر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه في سبع مراحل هي .. بضعة من سلالة طين، ثم تصبح نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم لحماً، ثم خلقاً آخر على شكل الإنسان. وذلك في مثل النص الكريم :

« **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي فَئِزٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .** »

« ١٢ - ١٤ سورة المؤمنون » .

أي أن الدنيا ولفظها، يتكون من ستة حروف، خُلِقَتْ في ست مراحل. والإنسان وحروفه سبعة خلق في سبع مراحل .

ونجد أن فاتحة الكتاب وهي أول سور المصحف الشريف ونصها :

« **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ .** »

تتكون من سبع آيات بما فيها البسملة اعتبرت آية .. وهذه تتكرر في كل السور ماعدا سورة (براءة) .. ولا تعتبر فيها كلها أنها آية .. فالفاتحة سبع آيات بالبسملة، وست بغير البسملة . وآخر سور المصحف الشريف وهي سورة (الناس) ونصّها :
**« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ »**
(١ - ٦ سورة الناس) .

تتكون أيضاً من ست آيات بغير البسملة .

والعدد سبعة، سبق الحديث عن بعض ماورد فيه، وجاء به، وأسند إليه، في القرآن الكريم، وذلك في مجموعة الإعجاز العددي للقرآن الكريم . أما الإضافة إليها، فهي أن الإنسان ولفظه، يتكون من سبعة حروف وخلق على سبع مراحل يتساوى معه في عدد الحروف ألفاظ القرآن ... والفرقان .. والإنجيل .. والتوراة .. فكل منها يتكون من سبعة حروف . وأيضاً صحف موسى ، فهي سبعة حروف . وأبو الأنبياء إبراهيم .. يتكون أيضاً من سبع حروف .. فهل هذه إشارة عددية وموازنة حسابية إلى أن هذه الرسائل والكتب إنما نزلت للإنسان .. لمختلف مراحل .. وشتى أحواله . وفي المواجهة ... وعلى النقيض، نجد الشيطان .. ويتكون لفظه من سبعة حروف .. فهل ذلك تأكيد لعداوته للإنسان في كل مرة .. ومختلف حالاته .. وأنه يحاول أن يصدّه تماماً وكاملاً عن الهداية التي أنزلها الله للإنسان كاملة وشاملة بنبوة إبراهيم وصحف موسى والتوراة والإنجيل ، والفرقان وهو القرآن .. حقاً .. وصدقاً، سبحانه وتعالى (له الأمر) .. وهذه أيضاً حروفها سبعة . وإذا أراد شيئاً جل شأنه قال له (كن فيكون)، وهذه أيضاً حروفها سبعة. خلق فوق الإنسان سبع طرائق بالنص الكريم :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ » .

(١٧ سورة المؤمنون)

وجعل لهم سبع أبواب كذلك بالنص الشريف :

« وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ »

(٤٣ - ٤٤ سورة الحجر)

(عن كتاب الأستاذ عبد الرزاق نوفل)

معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم .

لقد تبين مما ذكرنا أن القرآن الكريم تحدى العرب ببلاغة وسمو آياته لدى نزوله بتحداهم بعبارات تستفز الهمم، لكنهم عجزوا عن الإتيان بمثله. قال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا، فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) . وقد كانوا أهل فصاحة وبلاغة، وتجري بينهم المباريات في ذلك؛ فكانت المعلقات التي فازت بإعجاب الحضور وعُلفت في جوف الكعبة دلالة على أهميتها، فلما عجزوا رغم ذلك، دلَّ هذا العجز على أن القرآن ليس كلام بشر. وقال قائلهم على رؤوس الأشهاد، وهو (الوليد بن المغيرة)، وكان من ألد أعداء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: « إِنْ لَهُ خَلَاوَةٌ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمُحْصَرٌ وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى عَلَيْهِ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ » . كما تحدى بتشريعاته أهل القانون في سموها وصلاحياتها ويسرها وشمولها .

ثم جاءت الحقائق العلمية من (طب وعلوم وفيزياء ورياضيات وفضاء وبحار وجيولوجيا، وغيرها كثير) جاءت كلها شواهد صدق على ما جاء في القرآن .

وهانحن في عصر التخطيط والأرقام والإحصاء والكومبيوتر، فإذا بالقرآن الكريم يأتي ليكشف كثيراً من هذه الحقائق ويتحدى من جديد البشر كله ليثبت إعجازه مرة ثانية في الأرقام والترقيم . فهل باستطاعة بشر أن يكتب كتاباً ويرتب ألفاظه وحروفه وينظمها عدداً ورقماً وحساباً، كما فعل القرآن ؟: أو يأخذ أي رقم من الأرقام كالرقم "١٩" الذي جاء في القرآن ويدخله في كتابه ويقول في مقدمته إن هذا الرقم له خاصية في كتابي هذا، وسيتكرر هو ومضاعفاته في جميع موضوعاته ؟: إن البشر جميعاً عاجزون عن ذلك، فكيف بواحد. وقد حسم القرآن هذا الأمر في قوله تعالى: (وَلَنْ تَفْعَلُوا) - أي في المستقبل - مهما حاولتم .

وخير ما نختم به هذا البحث هو أن نذكر للقارئ الكريم آيات التحدي حسب التدرج من الأكثر إلى الأقل :

الأولى : تحدي للإنس والجن قاطبة، ثم بيان عجزهم عن ذلك . قال تعالى :
« قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » . الإسراء : ٨٨ .

الثانية : في هذه الآية الكريمة، التحدي أخف ، فبينما كان في الآية السابقة بالقرآن كله، فهو في هذه الآية بعشر سور مثله . قال تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ افْعُرَاهُ، قُلْ فَأْتُوا
بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ، وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ » هود : ١٣

الثالثة : وفي هذه الآية يصل التحدي إلى قمته، إذ يطلب الله تعالى منهم أن
يأتوا بسورة واحدة، ولو كانت قصيرة كسورة (الكوثر) التي هي ثلاث آيات فقط، فعجزوا .
قال تعالى : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ
تَفْعَلُوا، فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » .
البقرة : ٢٣ - ٢٤ .

ومن تمام الإعجاز فيها أنها نصّت على عجزهم في الماضي وعجزهم مستقبلاً، أي في
الآماد الطويلة المقبلة إلى قيام الساعة، لأن (لن) في اللغة العربية تفيد التأبيد، بمعنى إلى الأبد .

وجوه أخرى للإعجاز القرآن الكريم .

قال تعالى : «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ..»

مضار الدم وسمومه :

إن الدم هو المرتع لكافة فضلات الجسم السمية، يطرحها فيه، ثم تقوم الكلية بإفراغ هذه السموم خارج الجسم عن طريق التبول. كما يقوم الكبد بإيقاف هذه السموم عن طريق الصفراء والمرارة، وأحياناً يُحوّل تركيبها الكيماوي بواسطة خمائر خاصة، ليحولها إلى مواد غير سمية .

غير أن الجراثيم في كل الأمراض الإلتحانية تنتقل إلى الدم في سائر الجسم، فيصبح دماً مجرثاً. كما هو الحال في التهاب اللوزات - إذ لا يقتصر أمرها على اللوزات فحسب بل تتعداها إلى الجسم كله . ومثلما ينطبق هذا على الإنسان ينطبق على الحيوان تماماً، إذ أن جميع فضلات جسمه الاستقلابية السمية تنتقل إلى الدم، لكن الكلية والكبد تطرحانها إلى الخارج . وفيما يلي أسماء بعض المواد السمية الكيماوية الموجودة في الدم والتي تزداد لتهدد حياة الإنسان والحيوان في حال توقف الكلية أو الكبد عن القيام بعملها، وبالوظائف الفيرولوجية التي نظمها خالقها، وهي إفراغ سموم الدم .

ومن هذه الأسماء على سبيل المثال : الأسيتون ، أبيرليروين

الكولسترول أو شحوم الدم - البولة الأمونية - الكرياتينين

حمض البول - الآلاتين ، أول أكسيد الكربون CO وثاني أكسيد الكربون .. الخ .

إن هذه المواد السمية موجودة بمقادير طبيعية في الإنسان والحيوان، أي أن الإنسان

لو أكل من لحم خروف مات خنقاً لاذيحاً، فإن دم الخروف المليء بسموم فضلات جسمه يدخل جسم الإنسان مع أكله للحم، وعندما تهضم المعدة هذا اللحم المخنوق فإن كلية وكبد الأكل سيقومان بعمل مضاعف، وذلك بطرح سموم دم اللحم المخنوق أولاً، وإطراح سموم جسم الإنسان نفسه ثانياً، وهذا يؤدي إلى الإرهاق الشديد وإتعب كل من الكلية والكبد .

هذا هو رأيي في سر تحريم أكل لحم الحيوان المخنوق، وفائدة ذبحه قبل أكله - الذبح

الشرعي-حيث يتم إفراغ جسمه من كل دم، ويتم معه طرح السموم الموجودة فيه .
وهذا إعجاز علمي جديد يضاف إلى الإعجازات الأخرى للقرآن الكريم، لأن المواد
الكيميائية والسمية في الدم لم تكن معروفة لدى نزول القرآن بل اكتشف ذلك حديثاً .
قال تعالى : «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ
اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ» .

مضار اللحم الميت أو المتفسخ :

من المعلوم لدى الجميع، أن الوفاة تحصل إذا أكل إنسان لحم معلبات قديم ومتفسخ،
ومثله لحم السردين أو السمك الطون القديم والمتفسخ ، إن الوفاة هي النتيجة الحتمية
للمعالجات القوية التي يعالج بها المسموم، لأن اللحم المتفسخ أو الميت، يصبح مزرعة لجراثيم
مهلكة وقاتلة مثل جرثومة الكلوستريديوم بوتولينوم التي تسبب تسمم البوتولينوم القاتل
وجرثومة كلوستريديوم پرفرانجانس وأصناف جراثيم السالمونيلا وغيرها، هذا مع العلم أن
التفسخ وتكاثر الجراثيم يبدأ بعد الموت بربع ساعة .
أي كتاب عظيم هذا الذي حَرَّمَ على المسلمين الأكل من الميتة والدم المسفوح قبل
أربعة عشر قرناً ، وبذلك حافظ محافظة تامة على أجسامهم وصحتهم قبل اختراع المجاهر
المكبرة التي تم اختراعها منذ (١٥٠) مائة وخمسين سنة فقط، وبعد تقدم علم الكيمياء
الحديثة في القرن العشرين !

ماذا يقول المفكرون الغربيون المنصفون عن الإسلام؟

إن أحسن ما يمكن أن نتَّوج به هذا الموضوع، هو ولاشك ذكر وثيقة الفاتيكان لعام ١٩٧٠ قبل كل شيء. وهي وثيقة كبيرة تقع في ١٥٠ صفحة، ولكنني سأذكر هنا القسم المهم منها.

وقد قام الصديق العزيز الدكتور سليم اليافي والسيد زهير مارديني بترجمتها إلى اللغة العربية ، وإليك بعض الفقرات منها :

تعترف الوثيقة بكل صدق وشجاعة، أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي سوى الظلم والجور الذي نزل بساحتهم في الماضي . وهي تدعو إلى العمل تدريجياً على تغيير عقلية الأخوة المسيحيين حيال الدين الإسلامي والمسلمين .

وكما قال المحامي الأستاذ فيصل طيارة، في مقدمة كتاب .. الدكتور اليافي: إن ما يُطالب به كتاب الفاتيكان من أفكار مرسلّة ولمسات طيبة، هو في الإسلام عقيدة وشرعة؛ فقد جاء في القرآن الكريم :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً » .. وجاء في آية أخرى أيضاً :
« وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ » .

وتقول وثيقة الفاتيكان أيضاً: أنه في عالمنا هذا، حيث ظاهرة تعددية العقائد والحضارات والثقافات والأديان ، لا يمكن لهذه الأخيرة أن تبقى مُنطوية على نفسها، ولا يكفي إظهار التسامح والتساهل نحوها فقط ؛ بل يجب إقامة علاقات وصلات سليمة وانفتاح من أجل تجاوز الاختلافات في وجهات النظر، لنبحث عن الترابط والتوافق اللذين يمكن أن يدفعانا نحو وحدة كاملة أبعد مما نحن عليه . وهذا لا يتأمن إلا بالحوار . والحوار يجب أن يكون حسب مشاكلنا الجديدة والحديثة، لا حسب المشاكل القديمة .

هذه هي الفكرة التي أوحى لأمانة شؤون غير المسيحيين في كانون الأول ١٩٦٧ دعوة المسيحيين والطلب إليهم لأن يقدموا للمسلمين التهاني بمناسبة عيد الفطر ، وانتهاء شهر الصوم .

وقد كتبت الأمانة في ذلك الحين مايلي : (إن روح التقرب من الله والخضوع لإرادته ، والتي يُعبّر عنها صوم شهر رمضان ، هي قيمة دينية حقيقية وصادقة وثابتة ، ولا يمكن للمسيحيين بالتالي إلا أن يعبروا عن فرحتهم بأن يتأكدوا من أن هذه القيمة يُعبّر عنها في أوساط غير أوساطهم ، حتى ولو جاءت خلال تعبير ثقافي يختلف عن التعبير الذي يمارسونه في حياتهم ، وعلينا أن نفتبط بأن نرى ملايين البشر من رجال ونساء من الكبار والصغار يقومون بهذا الواجب الذي يكلف البعض منهم تضحيات كبرى .

وتقول الوثيقة أيضاً ، أن هنالك كثيراً من العقائد الدينية المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية . فمثلاً هنالك الإيمان المشترك بالوحي الذي نزل على سيدنا إبراهيم (أبونا في الإيمان والعقيدة) ، كما يقول المسيحيون ، (و خليل الله) كما يقول المسلمون ، وكذلك التأكيد المشترك بأن الله واحد أحد حي ، فالله يتحدث إلى البشر بواسطة رسل ليوجههم إلى طريق الخلاص والنجاة الأبديين والسعادة الخالدة .

وكذلك فإن المسلمين يؤمنون بعيسى ، وُلِدَ بمعجزة وبدون أب من البشر ، وهو حصيلة كلمة من الله ونتيجة لروح الله وقدرته ، أُرسل نبياً لأبناء إسرائيل ليذكرهم ويبشرهم بواحدانية الله البحتة ؛ وإن على كل إنسان بدأ بعيسى عليه السلام نفسه أن يكون عبد الله الواحد الأحد .

وعيسى نفسه قام وحقق معجزات مذهشة ، فقد أبرأ الأعمى والأبرص ، وأحيا الموتى بإذن الله ، ولكن اليهود قرروا اغتياله وصلبه ، فرفعه الله إليه قبيل صلبه ، ولسوف يُبعث حياً في الآخرة كإشارة تبشر مسبقاً بالقيامة .

هذا ما يؤمن به المسلمون عن سيدنا عيسى عليه السلام ، كما يؤمنون بمريم العذراء التي نذرتها أمها لله منذ أن كانت جنيناً ، والطاهرة من كل ذنب ، والمعصومة عن كل إثم ، إنها العذراء التي تقبلت بكل إيمان روح الله وكلمته التي أبلغت بموجها المعجزة وآمنت بها .

ويقول كتاب الفاتيكان بعد ذلك : لكن القرآن لا يتراجع ، فهو صريحٌ ويشدة ، فقد

جاء في سورة الزخرف آية ٥٩: «إِنْ هُوَ إِلَّا عَهْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ» ويقصد بهذه الآية سيدنا عيسى عليه السلام . كما جاء في سورة المائدة آية ١٦ و ١١٦: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» .

وكذلك فإن المسلمين يؤمنون بسيدنا موسى عليه السلام، فإن صورته في القرآن تبقى كلاسيكية تقليدية وقريبة من صورة موسى بالثورة، فهو الذي يجابه فرعون مصر مع أخيه هارون ويقضي على سلطان السحرة في مصر، ويحصل من فرعون على إذن بخروج الشعب اليهودي من مصر، وهو أيضاً الذي خاطبه الله تعالى في الطور وفي سيناء ومنحه التوراة .

ومن رأي كتاب الفاتيكان، أنه إذا كانت قد برزت خلال العصور انقسامات وعداوات وأحقاد بين المسلمين والمسيحيين، فإن المؤتمر المسكوني (أي المجمع الكنسي) يطلب بإلحاح إلى الجميع نسيان الماضي وبذل الجهد بصدق وأمانة للتوصل إلى التفاهم المتبادل وقيام الجميع بالتنادي لحماية وتشجيع العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية بالنسبة لجميع البشر .

الاعتراف بمظالم الماضي :

تقول الوثيقة الفاتيكانية: قبل كل شيء يجب أن نأخذ في اعتبارنا أن العصور الماضية، كالسنوات الحالية، قد تركت في الأذهان والأفكار (عند المسلمين)، وخاصة في بعض المناطق، مرارة عميقة حيال الغرب، وإن المسلمين لا ينسون في ذكرياتهم بأن المسيحيين أوقفوا بل حطموا انطلاقهم الحضاري نتيجة الحروب الصليبية التي ساهمت بوضع حد لأكثر الأوقات ازدهاراً في التاريخ الإسلامي^(١)، يضاف إلى هذا الإستعمار .

(١) وليس هذا شعور المسلمين وحدهم بل هو ما أعلنه أحد كبار المفكرين الأوربيين حيث قال: كنت أتمنى أن تنكسر ذراع شارل مارتل (و هو قائد معركة هواتية) ولا ينتصر على حاكم المسلمين، فإن بانتصاره عليه أضر الحضارة الأوروبية قروناً عديدة .

(وهذا ما يشكون منه كثيرون) والذي حال دون نهضتهم التي بدأت بشائرها تظهر في القرن التاسع عشر، هذا الإستعمار الذي حال دون أن يقطفوا الثمار التي أملوا أن يقطفوها. هذه المرارة التي يشعر بها المسلمون تجاه الغرب المسيحي، قد ظهرت فجأة ووضحت معالمها من خلال الكفاح والنضال من أجل التحرير .

وتقول الوثيقة أيضاً: إنه ينبغي التخلي عن الصورة الباهتة الموروثة من الماضي ؛ والمُشوهة بالمزاعم الباطلة والإفتراءات، والإعتراف بالظلمات التي اقترعها الغرب بحق المسلمين .

ثم تكشف الوثيقة خطأ التصور بأن الإسلام دين المظاهر القانونية، وتقابله بالعكس؛ ببيان صفاء العقيدة الإسلامية وسلامتها، وأوردت آيتين من القرآن مجهولتين من الغربيين، وهما : لإكراه في الدين ، والثانية: وما جعل عليكم في الدين من حرج .

وتقابل الوثيقة الفكرة الذائعة عن الإسلام بأنه دين الخوف، بتلك التي تقول بأنه دين الحب - حب الغير المتأصل بالعقيدة بالله، كما تُفهم الفكرة الرائجة باطلاً، والتي تهدف إلى وصم الإسلام بأنه خالٍ من النظام الأخلاقي، تلك التي يساهم فيها عدد من اليهود والمسيحيين التي مآلها تعصب الإسلام، وذلك بما شرحته بالعبارات التالية :

والواقع أن الإسلام لم يكن يوماً أكثر نعصباً في مجرى تاريخه من المدن المقدسة المسيحية عندما كان للإيمان المسيحي نوع من القدر السياسي .

وتورد الوثيقة عبارات من القرآن توضح أن ما كان يترجمه الغربيون خطأ « بالحرب المقدسة » هو ما يُعتبر عنه بالعربية بالجهاد في سبيل الله . أي الجهاد لنشر الإسلام والدفاع عنه ضد المعتدين .

وتتابع الوثيقة الفاتيكانية تقول : إن الجهاد ليس الخريم التوراتي، ولا يتجه إلى الإبادة أبداً، ولكن لنشر شرائع الله وحقوق الإنسان في المقاطعات الجديدة .

لقد كانت مظاهر الشدة في الجهاد في الماضي تتبع غالباً قوانين الحرب، ولم يكن المسلمون أيام الصليبيين هم الذين يرتكبون دوماً أكبر المجازر. وتقول الوثيقة أخيراً : إننا نجد في نضج الفكرة الإسلامية التقليدية، أساساً لتطور ممكن للمجتمع المتمدن .

ويختتم الكتاب الذي يتكلم عن الوثيقة، بوجوب أن يشترك المسلمون والمسيحيون بإقامة مجتمع أكثر تأخياً، وبدراسة أمور البشر وكيفية رفع مستواهم الاجتماعي والروحي، والغوص في تفاصيل حياتهم اليومية لإيجاد حلول لمشاكلهم ؛ وبكلمة مختصرة، يجب إيجاد حلول لكل ما يهين كرامة الإنسان وحرته وسلامته .

هذه هي الفقرات المهمة في كتاب الفاتيكان، وقد وجدت من الضروري أن يطلع عليها القارئ لما لها من أهمية كبرى في موضوع حوار الأديان .

ولكن من المؤسف، أن ماتطلبه وثيقة الفاتيكان لاتفعله الدول الغربية، بل مازالت سائرة على سياستها الإستعمارية منذ الحروب الصليبية وحتى الآن .

لقد جاء الإسلام للإنسانية جمعاء، وتَنَكَّر للعنصرية. وهو يؤمن بكافة الأنبياء والرسل، من ابراهيم إلى عيسى. ويؤمن بالكتب السماوية الأصلية أي التوراة والإنجيل والتي أنزلت على موسى وعيسى .

ورغم المثل العليا الروحية السامية الموجودة في الديانة المسيحية، فقد انحرف الغرب إلى نزعة مادية أو أنانية متطرفة، بينما حافظ الإسلام على مبادئه السامية الإنسانية الداعية إلى الإخاء والحرية والمساواة بين أبناء الجنس البشري .

والسبب، أن الغرب لم يعد يهتم بتطبيق تعاليم الديانة المسيحية ومبادئها الروحية (وهي نفس التعاليم الروحية للإسلام) في أمور الحياة، بينما استمر الإسلام مؤثراً في كل ما يتصل بحياة المسلمين .

إن العالم المسيحي حتى الآن لم يفهم مع الأسف الإسلام على حقيقته، بسبب الدعاية المشوهة الرهيبة التي حارته خلال مئات السنين ومازالت حتى الآن تحاربه .

إن الإسلام متسامح إلى آخر درجة التسامح مع غير المسلمين، بدليل بقاء ملايين المسيحيين واليهود في العالم الإسلامي منذ ١٥٠٠ سنة حتى الآن يمارسون شعائهم الدينية بكل حرية، ويقومون بكافة أعمالهم التجارية وغيرها بدون أي ممانعة أو اضطهاد، ويتقلدون أحياناً أعلى المناصب الرفيعة .

فإن الطبيب المسيحي جورج جوس بن بختيشوع، كان طبيباً للخليفة المنصور، وسهل بن سابور، طبيب المعتصم . وإن سرجون- وهو جد القديس يوحنا الدمشقي- كان من كبار

وزراء الخلافة الإسلامية الأموية في دمشق، وقد عهد إلى القديس يوحنا نفسه من قبل الخليفة بإدارة ديوان (الخراج) . وإن عدة شخصيات من الأقلية الأرمنية في المملكة العثمانية تقلدوا عدة مرات وزارات رئيسية مثل وزارة المالية وأحياناً رئاسة الوزارة .

بينما أبادت محاكم التفتيش بإسبانيا المسلمين بأعداد كبيرة، وطردت قسماً منهم، وماتبقى أجبروهم الدخول في الديانة المسيحية، وكذلك فعلوا باليهود الذين فروا أفواجاً أفواجاً إلى بلاد المسلمين في المملكة العثمانية، حيث وجدوا الأمان والمعاملة الإنسانية العادلة . أي أن الأسبان لم يقبلوا أن يبقى بإسبانيا إلا مسيحيون فقط ، وهذا مالم يفعله المسلمون الذين ظلوا بإسبانيا ٨٥٠ سنة . وكانوا متسامحين كل التسامح مع كافة المسيحيين واليهود . ولم يذكر التاريخ أبداً حصول أي اضطهاد أو اعتداءات على غير المسلمين، أو أي إكراه على الدخول بالدين الإسلامي .

إن هذه المعاملة الإنسانية السامية، هي الحضارة الحقيقية بعينها، لأن الحضارة ليست تكنولوجيا فقط، بل أخلاق وسمو روحي وعدل وإنصاف ورحمة، والحضارة ليست تعصباً مقبلاً، بل تسامحاً يحمل معه سمو الرقي الإنساني .

والحرية والإخاء المساواة، وهي شعار الثورة الفرنسية، عرفها الإسلام منذ نشأته قبل ١٥٠٠ عاماً تقريباً. يقول الدكتور جرمانوس ؛ الأستاذ بجامعة بودابست، بأن مستقبل العالم وخلاصه من الإنهيار الاجتماعي الذي يهدده، لن يكون إلا في المزاوجة السعيدة بين الحضارة الأوربية بتكنولوجيتها وعلمها، والروحانية السامية التي تنطوي عليها عقائد الدين الإسلامي .

وقال توماس كارلايل ؛ في كتابه الأبطال- عند الكلام عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم : الحقيقة الكبرى هي أنه رجل صادق ونبي مرسل .

وقد أقر مؤتمر الأديان الدولي المنعقد بلاهاي صلاحية الإسلام لكل العصور .

كذلك قرر المؤتمر الدولي للقوانين المنعقد بنفس البلد : إن الشريعة الإسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية .

يقول الكاتب والسياسي السويسري مارسيل بواسارد : إن الإسلام ليس فقط ديناً ينظم علاقة الإنسان بخالقه، وإنما هو في الحقيقة نظام اجتماعي ثقافي سياسي متكامل

ينظم علاقة الإنسان المسلم بأخيه المسلم على حد سواء ، وكذلك ينظم علاقة الإنسان بالمجتمع والدولة أيضاً. فالإسلام ليس فقط مجرد دين، بل هو دين عصري يلائم العصر الحديث، كما كان يلائم عصر نزول القرآن الكريم .

في الفصل الأول من الكتاب، يُعرّف لنا الكاتب الإسلام بأنه اختيار إرادي وحر . وهو عبارة عن أخلاقيات ومنطق. بكلمة أخرى يقول الكاتب " الإسلام هو تطور أعطى الإنسان مكانة ومركزاً في المجتمع ، وهو دين قادر على الإجابة على جميع التساؤلات ؛ كذلك هو اتصال بين الخالق والمخلوق. وأخيراً هو خضوع بكل ثقة وإيمان إلى الإرادة الإلهية التي لا يمكن اعتبارها نوعاً من العبودية " .

ويقول الكاتب : إن الإسلام لم يأخذ بعد صبغته الحقيقية في بعض بلدان القارتين الإفريقية والآسيوية ، وهذا طبعاً يعود إلى قصور المسلمين أنفسهم في نشر حقيقة دينهم بالطرق الصحيحة ، فالدين الإسلامي ليس بالدين الجديد، فهو مزين بذكرى ماضيه المجيد وحقيقته الحية .

إن الإسلام دين يؤمن بالأديان الكتابية وأنبيائها سيدنا موسى وسيدنا عيسى، وهو كذلك يؤمن بأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء والرسل . ويقول أيضاً إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو رجل دولة صريح، وهو سياسي قوي الإرادة، كما نستطيع القول أن محمداً يعتبر حقيقة رجلاً يتمتع بإرادة وذكاء خارقين، وكذلك فهو رسول الله .

ثم ينتقل الكاتب إلى القرآن، فيقول " أساس الدين الإسلامي وقانونه هو القرآن الكريم . ثم هناك الأحاديث النبوية التي جاءت لتشريع بعض أحكامه . فالقرآن بالنسبة للمسلمين، ليس فقط مجرد كتاب مقدس ينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكنه معجزة حقيقية تُظهر حقيقة الدين الإسلامي .. كدين لكل العصور .

ففي القرآن تجدد دائماً الإجابة على كل تساؤل قد يتوارد على ذهنك، سواء أكان يتعلق بالقانون أم الشرع، أم بالعلاقات الاجتماعية أو العسكرية والحربية، حتى يصل إلى النظم المالية والميراث. فالقرآن دستور دائم يعطي لقارئه الأمن والأمان . ويوصف الإسلام بأنه دين أخلاقي ووحدة، تتمثل في صلواته الخمس يومياً ، حيث

تتحد أنظار حوالي ألف مليون مسلم في التوجه صوب الكعبة، في أوقات محددة هي أوقات الصلاة اليومية. وأما شهر رمضان فتتجلى فيه مبادئ الإسلام ونظامه وعظمته .

ويقول الكاتب: لقد احترم الإسلام حقوق الإنسان وحددها، ووضع لها أسساً وواجبات والتزامات، ثم حدد كذلك واجبات وحقوق الفرد تجاه الجماعة؛ وفي المقابل حقوق وواجبات الجماعة تجاه الفرد ؛ وإن الإسلام هو نظام قائم على العدل وحرية التصرف .

ففي كل أزمة تبرز آراء القرآن وآياته كأساس للحكم وفلسفة للعالم " فالإسلام نظام خلقي وهو عدل اجتماعي لمجتمع فيه الكثير من الحرية والإيمان والعدل والمساواة " .

يقول الأستاذ قانسان مونتيه، الأستاذ بجامعة باريس، في مقال: لماذا وكيف أنا مسلم، نُشر في العدد ٧٥ من مجلة فرنسا والبلدان العربية بتاريخ ١٥ شباط ١٩٧٨ :

لقد وجدتُ الإسلام دين الفطرة والبساطة والوضوح، حيث لا أسرار ولا ألغاز أو تأليه بشر، والإسلام دين التسامح، وهو يدفع إلى الأخلاق العليا والكرامة الإنسانية. وهو دين الحق والعدل والمساواة والحرية والعقيدة الصافية .

ويقول الأديب والشاعر الإفريقي لمارتين : إن حياةً مثل حياة محمد، وقوة كقوة تأمله وتفكيره وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وبأسه في لقاء مالقيه من عبدة الأوثان وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمته ورباطة جأشه، لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية؛ إن كل ذلك، أدلة على أنه لم يكن ليضم لأحد الأذى أو يعيش على باطل، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشروع وهاجٍ للإنسان إلى العقل، وناشر للعقائد المعقولة الموافق للذهن واللب، وهو مؤسس دين لافردية فيه، وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والعذاء. فأَيُّ رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد، وأَيُّ آفاق بلغ أي إنسان من أعلى درجات الكمال ما بلغ محمد .

ويقول الفيلسوف الإنجليزي برناردشو : إن محمداً ، يجب أن يُدعى مُنقذ الإنسانية. إنني أعتقد، أنه لو تولَّى رجل مثله زعامة العالم الحديث، لنجى في حل مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة. إن محمداً هو أكمل البشر في الغابرين والحاضرين، ولا يتصور وجود مثله في الآتين .

ويقول بسمارك، موحد ألمانيا وقائدها الحديدي في القرن التاسع عشر: إنني تدبرت

وتأملت ودققت الكتب المنزلة السماوية التي يدعى أنها واردة من اللاهوت ؛ فما وجدتُ،
لها فيها من التحريف، ما أنا طالبه من الحكمة. وإن تلك القوانين ليست بحيث تؤمن السعادة
البشرية ...

لكن القرآن المحمدي ليس بداخل في ذلك القيد . نعم دَقَقْتُ القرآن من كل جهة ومن
كل نقطة، فوجدت في كل كلمة منه حكمة عظيمة؛ ومن ادعى أن هذا القرآن ترشح من
قريحة محمد فقد أغمض العين عن الحقائق، لأن ذلك الزعم يمجّه العلم والحكمة .
وإنني أدعي أن حضرة محمد، قدوة ممتازة، وليس في الإمكان إيجاد القدوة محمداً
ثانياً .

فيا محمد، إنني متأثراً جداً من أن لم أكن معاصراً لك . إن الكتاب الذي نشرته ليس
من قريحتك؛ وإنكار ألوهيته هراء. إن البشرية رأت قدوةً ممتازةً مثلك، مرة واحدة، ولن ترى
ذلك مرة أخرى، فبناء على هذا، إنني أعظمك بكمال الإحترام راکعاً في حضورك المعنوي .
يقول العلامة دربير : في كتابه، المنازعة بين العلم والدين، إن جامعات المسلمين
بالأندلس والبلاد العربية والإسلامية كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من
بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوربا وأمرأؤها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها .
ويقول السيد هنري دوشاميون، مدير تحرير مجلة ريفويا رلنتير الفرنسية؛ نحن
مدينون للشعوب العربية بكل محامد حضارتنا ؛ في العلم والفن والصناعة ، مع أننا نزعم
السيطرة على تلك الشعوب العربية في الفضائل، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري
مدة ثمانية قرون؛ بينما كنا يومئذ مثال الهمجية .

وذكر روجيه جارودي في كتابه: ما يعده به الإسلام (ص ٦٩) :
يقول ستاندرل في كتابه الحب: نحن كنا البرابرة بالنسبة للشرق، حينما غزاها
الصلبييون منا، ولهذا اقتبسنا أنبل عاداتنا عن طريق الحروب الصليبية والعرب في اسبانيا .
ومن نتائج الحروب الصليبية كما جاء في كتاب (الصلبييون في الشرق) للمؤرخ
السوقياتي ميخائيل زابوزوف :

اقتبس الغرب من الشعوب الشرقية الكثير في مضمار التكنيك؛ ومن الشرق إلى
أوروبا راح الطاحون الهوائي ؛ ففي الغرب بدؤوا يبنون الطواحين الهوائية منذ القرن الثاني

عشر بعد أن شاهدها الصليبيون في سورية .

ومن سورية أيضاً أخذ الأوروبيين الدولار المائي المحسن، وقد كان معروفاً في الشرق منذ زمن روما، وحسنه الميكانيكيون العرب، وكان ذلك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ليُستعمل على نطاق واسع، حيث اشتهر على الأخص حرفيو أنطاكية بمهارة صنع هذا المحرك .

واقْتبسوا من سورية أيضاً من مزروعات الحقول والبساتين والقرعيات ما لم يكونوا يعرفونها (الحنطة السوداء - الرز - البطيخ - المشمش - الليمون الحامض) وبعض أصناف الزهور (الورد الدمشقي) .

وخلال زمن طويل، كان العسل المنتج الغذائي الحلو الوحيد في الغرب، ولم يدخل سكر القصب في الإستهلاك إلا منذ القرن الثاني عشر .

وللمرة الأولى تعرّف الإفرنج على قصب السكر عندما جاءوا إلى انطاكية سنة ١٠٩٨، ودخلت كلمة السكر العربية مُحَوَّرة إلى كثير من لغات الشعوب الأوروبية . وفي القرن الثاني عشر أيضاً تطور صنع الأقمشة حسب النمط الشرقي، ومنها نوعا الدامكس والموصلين نسبةً إلى مدينتي دمشق والموصل ونوع الأطلس . (عن جريدة تشرين السورية العدد ٣٨٧٦ تاريخ ١٧/٥/١٩٨٧) .

ويقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب :

كلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم، ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة؛ وسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإن جامعات الغرب لم تعرّف لها، مدة خمسة قرون، مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً . والغرب وليد الشرق ولا يزال مفتاح ماضي الحوادث للشرق، فعلى العلماء أن يبحثوا عن هذا المفتاح فيه . وحينما ندرس تاريخ الفتوحات العربية الإسلامية نرى أن الأمم لم تشاهد، و لم تعرّف، فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم .

لم ينتشر الدين الإسلامي بالسيف ؛ يقول المؤرخ سديني الإفرنسي، في كتابه: تاريخ العرب، صفحة ٥٦ : إن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام بعث خالد بن الوليد رضي الله

عنه في سرية بماه لجذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام، فتكلموا بكلام فهم منه عدم الإتيان ، فقتلهم ، فلما جاء الخبر إلى محمد صلى الله عليه وسلم غضب وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ثم أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمال أدى به ديّات القتلى .

اعتراف التوراة والإنجيل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

التوراة والإنجيل يُشيران بالنبي محمد باسمه وصفته ؛ فقد جاء في السفر الخامس من التوراة، سفر التثنية : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام، قل لبني إسرائيل لاتطيعوا العرّافين والمنجمين فسقيم لكم الرب نبياً من أخوتكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي، وإني سأجعل كلامي في فمه .

والمقصود بهذا النبي، النبي محمد صلى الله عليه وسلم، للأسباب التالية :

إن كل نبي بُعث بعد موسى كان من بني إسرائيل، وآخرهم عيسى، فلم يبق أن يكون من بني أخوتهم إلاّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنّه وُلِدَ من إسماعيل، وإسماعيل شقيق إسحاق، وإسحاق جد بني إسرائيل . فهذه هي الأخوة التي ذُكرت في التوراة . ولو كانت هذه البشارة لنبي من أنبياء بني إسرائيل لم يكن لذكر (أخوتكم) معنى بل وجب أن يكون التعبير نبياً من (أنفسكم) .

وكلمة (أجعل كلامي في فمه) يعني القرآن الكريم، الذي أوحى به الله تعالى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق سيدنا جبريل، وكان يتلوه على الصحابة تبعاً، آية بعد أخرى حسب تاريخ نزولها .

وقد اعترفت التوراة بأن الله تعالى وعد إبراهيم الخليل أن يبعث من نسله رسولاً يشرع وكتاباً، ولم يبعث من نسله إلاّ النبي محمداً صلى الله عليه وسلم .

محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس

تأليف البروفسور عبد الأحد داوود

اسمه قبل اسلامه : القسيس دافيد بنجامين كلداني، يحمل شهادة ليسانس في اللاهوت .

سأذكر فيما يلي بعض الفقرات المهمة التي جاءت في كتاب البروفسور عبد الأحد داوود، والتي تثبت اعتراف التوراة بالرسول العربي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

جاء في الكتاب المذكور، نقلاً عن انجيل القديس يوحنا، عن المسيح عليه الصلاة والسلام، مايلي : إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطىكم فارقليطاً آخر ليمكث معكم إلى الأبد . وفي مكان آخر يقول : وأما الآن، فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني .. لأنني إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط .

وكلمة (الفارقليط) مشتقة من الكلمة اليونانية برقليطوس، ومعناها - حسب قاموس الإسكندر دغويقي الإفرنسي : الأمجد - الأشهر - المستحق للمديح، وتعني بالضبط مايعنيه اسم أحمد باللغة العربية، أي المشهور والممجد . واسم أحمد هو مرادف تماماً لإسم محمد، وإسم أحمد جاء في القرآن الكريم في سورة الصف آية ٦ : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مُصَدِّقاً لما بين يدي من التوراة ومُبَشِّراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد » (١) .

ويقول البروفسور عبد الأحد داوود، صفحة ٢٢٣ أيضاً : إن الدلالة الحرفية للإسم اليوناني بارقليطوس تعادل بالدقة ودون شك كلمتي: أحمد ومحمد .

(١) المؤلف : يلاحظ نوعاً من التشابه الواضح بين الآية القرآنية وما جاء في انجيل يوحنا .

ومن المدهش أن هذا الإسم الفريد الذي لم يُعطَ لأحدٍ من قبل (وهو أول إسم علم عُرف بهذه الصيغة في تاريخ البشر) كان محجوزاً بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء (ويقصد المؤلف عيد الأحد داوود هنا الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم) وهو أهم معجزة جاءت لصالح الإسلام. ونحن لانجد أبداً أي يوناني كان يحمل اسم برقليطس ولا أي عربي كان يحمل اسم أحمد . صحيح أنه كان هنالك آثيني مشهور اسمه بركلييس Perigles وهي تعني الشهير ... الخ، ولكنها لاتعني الأشهر . وأخيرت التوراة أيضاً عن النبي الذي أقبل نوره من فاران - وهي صحراء الحجاز - ومعه عشرة آلاف قديس .

والمكتوب في التوراة، هو إشارة إلى فتح مكة بجيش عدده عشرة آلاف مقاتل ؛ وهذا ماحدث فعلاً إذ قاد النبي صلى الله عليه وسلم نفس عدد هذا الجيش بالذات في فتح مكة. وإليك النص الحرفي بالتوراة، وقد جاء في الفصل ٣٣ جملة ٢: وجاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعبير وتلاًلاً قادماً من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس، ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم (صفحة ١٩) .

ولم تكن لأي واحد من الإسرائيليين- بما فيه المسيح- أي علاقة بفاران ، أي صحراء الحجاز ، فإن هاجر مع ولدها اسماعيل تجوّلاً في متاهات بئر السبع وهما اللذين سكننا بعد ذلك في قفار فاران (سفر التكوين فصل ٢١ جملة ٢١) .

وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر، ومن ولده فيدار (عدنان) جاء الأحفاد العرب الذين منذ ذلك الوقت سكنوا واستوطنوا في قفار فاران . ويقول البروفسور عيد الأحد داوود معلقاً على هذه النبوة: فإذا كان محمد، وهو معروف للجميع، قد جاء من نسل اسماعيل وابنه عدنان ، ثم ظهر بعد ذلك نبياً في قفار فاران، ثم دخل مكة مع عشرة آلاف قديس (مؤمن)، وجاء بالشرعية النارية إلى شعبه ، أوليست هذه النبوة قد تحققت بالحرف الواحد، وصدقت على محمد صلى الله عليه وسلم (من مقدمة كتاب البروفسور عيد الأحد داوود التي كتبها المرحوم الشيخ ابراهيم القطان) .

وجاء أيضاً في كتاب البروفسور عيد الأحد داوود صفحة ٥٠ - ٥١ - ٥٢ ماييلي [ولسوف أزلزل كل الأمم ، وسوف يأتي حمداً « Himada " لكل الأمم « وسوف

أَمْلاً هذا البيت بالمجد ، كذلك قال رب الجنود ، ولي الفضة ، ولي الذهب ، هكذا يقول رب الجنود، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول ، هكذا يقول رب الجنود ، وفي هذا المكان أعطي السلام ، هكذا يقول رب الجنود . (الإصحاح الثاني من سفر حجي، الجملة ٧ - ٩) .

ولقد قمت بترجمة هذه الفقرة المذكورة من النسخة الوحيدة من الإنجيل التي كانت بحوزتي ، والتي أعارتني إياها سيدة آشورية كانت ابنة عم لي، والنسخة هذه هي باللغة الوطنية الدارجة آنذاك ، ولكن دعنا نرجع إلى الترجمة الإنجيلية للكتاب المقدس والتي نجد أنها تَرَجَمَت عن الأصل العبري كلمة « جَمَدًا » إلى اللغة « الأُمْنِيَّة » وكلمة « شالوم » إلى « الإسلام » .

ولقد أولى المعلقون اليهود والمسيحيون سواء بسواء ، أعظم الأهمية للوعد المزدوج الذي احتوته النبوة المذكورة آنفاً، وهؤلاء المعلقون يعرفون النبوة المسيحية المتعلقة بالكلمة « جَمَدًا ». وفي الحقيقة هناك نبوءة رائعة أثبتتها الصياغة الإنجيلية العادية للقسم الإلهي « يقول الرب إله الصباوت (الملائكة) .. ذلك القسم الذي أعيد ذكره أربع مرات . فإذا أخذنا هذه النبوءة بالصيغة التجريدية لكمتي « جَمَدًا » و« شالوم » على أنهما « الأُمْنِيَّة » و« السلام » فحينئذ تصبح تلك النبوءة لاشيء أكثر من « همس غامض مبهم ولا يفهم معناها ». ولكن إذا فهمنا المقصود من التعبير بكلمة « جَمَدًا » بأنها فكرة ثابتة عن شخص أو عن حقيقة واقعة ، وإذا فهمنا المقصود من كلمة « شالوم » بأنها ليست حالة مشروطة بل هي قوة فعالة وديانة رسمية ثابتة ومعترف بها . . .

. . . عندئذ لا بد من اعتبار هذه النبوءة على أنها صادقة لا إنكار فيها ، وأنها مطابقة لشخصية « أحمد » وبعثته بالإسلام، ذلك لأن كلمتي « جَمَدًا » و« شالوم » أو « سلاما » تؤديان بدقة نفس الدلالة والأهمية لكلمتي « أحمد » و« الإسلام » .

ومن المستحسن ، قبل محاولة إثبات نفاذ ومطابقة هذه النبوءة، إيضاح وتعليل أصول هاتين الكلمتين بصورة مختصرة وبقدر المستطاع :

أ - لنأخذ كلمة « جَمَدًا » ولعلي لست مخطئاً ، فإنها تُقرأ باللغة العبرية الأصلية هكذا: « في يافو جَمَدَات كُول هاجُورِيم » والتي تعني حرفياً : « سوف يأتي جَمَدًا لكل

الأمم». والحرفان «ها» في اللغة العبرية يقابلهما في اللغة العربية «أل» للتعريف، أو «ل» عندما تكون في حالة الجر، والكلمة مأخوذة من اللغة العبرية القديمة، أو لعلها الآرامية، وفي الأصل «جَمْدٌ» تستعمل عادة لتعني «الأمنية الكبيرة» أو «المشتهى» أو «الشهية» أو «الشائق». وقد جاء في الوصية التاسعة من الوصايا العشر: «لوتا همود إيش رايبخا» ومعناها: «لا تشته زوجة جارك»، وفي اللغة العبرية يأتي الفاعل «جَمِداً» من نفس الحرف الساكن «جَمْدٌ» ومعناها: «العُمد» وهكذا . . .
وهل هناك شيء أكثر من المدح أو حسن الأحداث يتوق إليه البشر وبشتهيته الإنسان أو يرغب فيه ؟

وأياً من المعنيين تختار، فإن الحقيقة الناصعة تبقى بأن كلمة «أحمد» هي الصيغة العربية لكلمة «جَمْدًا». وهذا التفسير هو تفسير قاطع لا ريب ولا مرأى فيه .
ولقد جاء في القرآن الكريم، وفي سورة الصف، الآية السادسة: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ..». وفي إنجيل يوحنا الذي كُتِبَ باليونانية، استعمل الاسم «باراكليتوس» وهو صيغة وثنية لم تكن معروفة في دنيا الأدب الإغريقي، ولكن كلمة «بيريكليتوس» والتي توافق وتتطابق تماماً إسم «أحمد» في معناه ومغزاه في «إشراقه» و«سموه»، و«تمجيده» وفي «مقامه المحمود الأعلى»، لا بد وأن تكون ترجمتها من اليونانية «جَمْدًا» أو لعلها «حميدة» بصيغتها الآرامية كما نطق بها يسوع المسيح، ولكن وأسفاه لا يوجد هناك إنجيل باقٍ على الزمن باللغة الأصلية التي تحدث بها السيد المسيح .

ب - أما فيما يتعلق بأصل هذه الكلمات وتاريخها ومغزاها «شالوم» و«شلاما» بالعبرية، وفي العربية «سلام» و«إسلام»، فإنه لا حاجة بي لأن أعيق تسلسل تفكير القارئ فأجره إلى تفاصيل لغوية، لأن أي عالم في السامية يعرف تماماً أن «شالوم» و«إسلام» هما كلمتان مشتقتان من أصل واحد وتعنيان نفس المعنى وهو السلام والإذعان أو الإستسلام]. وهناك نبوءة شهيرة موجودة في العبارة العاشرة من الإصحاح ٤٩ في سفر التكوين في التوراة : « لا يزول صولجان من يهودا أو مشرّع من بين قدميه حتى يأتي شيلوه ، ويكون له خضوع الشعوب » .

وحسب تفسير البروفسور عبد الأحد داؤود، فإن كلمة شيلوه معناها الأمين، وشلواه معناها الرسول . وهذا يتطابق حتماً مع اللقب العربي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم . وباللغة العبرية: شلواح، معناها رسول أو مبعوث، وكلمة شيلوح الوهيم بالعبرية معناها بالضبط: رسول الله، وهذه العبارة تُرَتَّل خمس مرات كل يوم عندما يؤذن المؤذنون للصلاة فوق جميع مآذن العالم .

وفي مكان آخر من كتابه، يتحدثنا البروفسور عبد الأحد داؤود عن الجملة التاسعة من سفر إرميا التي تقول : إن النبي الذي تدور نبوءاته حول الإسلام (شالوم) عند ورود كلمة النبي، ذلك النبي هو المعروف أنه المرسل من قبل الله بالحق (إرميا ٢٨ / ٩) . ويقول المؤلف عبد الأحد: إن جملة سفر إرميا يمكن أن تقال بشكل آخر، وهو أن النبي الذي تدور نبوءاته حول الإسلام ، كلما وردت كلمة النبي ، فإن ذلك النبي هو المعروف بأنه المرسل من قبل الله بالحق . وهو فسّر كلمة الشالوم على أنها الإسلام، وإن حرف (ال) قبل كلمة شالوم معناها (حول) أو (فيما يتعلق بـ) ، وإن كلمة شالوم العبرية و سلام السريانية وإسلام العربية كلها نفس الجذر السامي . (شلام) الذي يعني الخضوع أو الإستسلام ثم تحقق السلام . ويتحدّى المؤلف الجميع أن يأتوا بكلمة أخرى غير الإسلام والسلام تكون مرادفة لكلمة شالوم .

وإن النبي إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح الذي استخدم كلمة شالوم بمعنى الدين وبمعنى إثبات صدق أحد رسل الله وبمعنى نظام مادي وحقيقي يتكون فيه السلام أيضاً . ويذكر الإنجيل قول عيسى عليه السلام : إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم

ولكن لا يستطيعون حمله (وهذا دليل على أنه ترك الشريعة غير كاملة ليكملها نبي بعده).
وبقية الآية تقول : لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه
ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبر بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب.
هذه الأوصاف لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم فإن القرآن يقول فيه :
«وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»

من كتاب الهامة الاوائل، لمايكل هارت

قال مايكل هارت : لقد أسس محمد ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام ؛ ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته فإن تأثيره لا يزال قوياً وعارماً .

ويقول أيضاً: إن محمداً لعب دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام من الدور الذي لعبه المسيح في تطوير المسيحية، مع أن المسيح كان مسؤولاً عن المبادئ الأدبية والأخلاقية للديانة المسيحية (في المبادئ التي تختلف بها هذه المبادئ عن الديانة اليهودية)، إلا أن القديس بولص كان المطور الرئيسي للاهوت المسيحي، وكان الهادي الرئيسي للمعتقدات المسيحية والمؤلف لجزء كبير من العهد الجديد في التوراة .

إن معظم أقوال محمد (ويقصد هنا القرآن والأحاديث) قد سُجِّلَتْ خلال حياته وجمِعت بشكل رسمي موثوق بعد وفاته بفترة وجيزة؛ لذلك فإن القرآن يمثل الأفكار والتعاليم التي أوحاها الله للرسول، ولكن لم يبق أي أثر يشبه هذا من آثار المسيح. ومن المحتمل أن تأثير محمد على الإسلام أكبر بكثير من التأثير المزدوج للمسيح والقديس بولص على المسيحية، ولهذا فإنه من وجهة النظر الدينية الصرفة، يبدو بأن محمداً كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كما كان للمسيح .

وقد توصل مايكل هارت إلى إعتبار أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، هو أهم شخصية في تاريخ الإنسانية، وذلك حسب موازين ومعايير دقيقة أثرت في تاريخ البشرية. ويقول عن ذلك: إن اختياري لمحمد ليكون الرجل الأول والوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي . إن هذا الإتحاد الفريد الذي لانظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً، مما يخول محمداً صلى الله عليه وسلم أن يُعتبر أعظم شخصية مفردة ذات تأثير في تاريخ البشرية .

ويقول المؤرخ العالمي ول ديوارنت، مؤلف الموسوعة التاريخية الشهيرة (قصة الحضارة) بالجزء الثاني من المجلد الرابع :

إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في نفوس الناس، قلنا أن محمداً

كان من أعظم عظماء التاريخ . فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب أَلقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله .
وعودة إلى الفيلسوف البريطاني الشهير توماس كادلايل حيث يقول في كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) :

لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة وعجرفية، وكانوا حماة الأنوف أباة الضيم وعر المفادة ، صعاب الشكيمة . فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلکم والله بطل كبير . ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبيل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه . وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيباً في طاعتهم مقدار مانال محمد في ثوبه المرقع بيده . فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال .

ومن ناحية أخرى يقول وليام موير في كتابه: حياة محمد، يقول في القرآن :
إن مصحف زيد وعثمان لم يكن دقيقاً فحسب، بل كان كما تدل الوقائع كاملاً . وإن جامعيه لم يتعمدوا إغفال شيء من الوحي ونستطيع أن نؤكد كذلك -استناداً إلى أوثق المصادر- أن كل آية في القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد صلى الله عليه وسلم .
ويقول آريشون بهذا الموضوع : وقد ظل القرآن كما هو حتى اليوم دون أي تحريف في أي جزء من أجزائه ، لآمن المتحمسين له ولآمن ناقله إلى لغات أخرى ولآمن يتربصون به الدوائر .

أما العالم بوش فيقول : لم تكن هناك فرصة لتحويل أي شيء في القرآن، ولو بدافع الحماس له، وهو موقف فذ انفرد به القرآن عن سائر الكتب القديمة، وفي مقدمتها التوراة والإنجيل .

أما الشاعر الألماني الأكبر غوته ؛ فقد اعتبر أن للقرآن قدرة تربوية خارقة، لأنها تحرك في الإنسان وعيه الأعلى بعلاقته بالله وبالكون . وقال لأحد أصدقائه : إن تعاليم هذا الكتاب لن تفشل أبداً . إن كل مناهجنا التي يمكن أن يعتمدها إنسان لا يمكن أن تذهب أبعد مما ذهب إليه القرآن ؛ فإذا كان هذا هو الإسلام، فكلنا مسلمون ...

وقال أحد المستشرقين الذين أشهروا إسلامهم : إن بعض الناس يُكذِّبون محمداً في أنه رسول ويقولون إنه أتى بالقرآن من عنده . إنني أتحدى أن توجد عبقرية تصنع لنفسها ثلاث أساليب :

أسلوب يقال عنه القرآن .

وأسلوب يقال عنه حديث قدسي .

وأسلوب يقال عنه حديث نبوي شريف . ويُعزَل هذا الأسلوب عن ذاك بدقة متناهية ،

بحيث أنك عندما تسمعه تميزه، وتقول هذا قرآن وهذا حديث قدسي وهذا حديث نبوي .

(من كتاب الله والنفس البشرية لمحمد متولي الشعراوي) .

الإسلام دين المستقبل

هذا ما يتوقعه كثير من مفكري العالم اليوم، وذلك نظراً إلى إفلاس سائر النظريات والفلسفات الأرضية، وعجزها عن هداية الإنسان إلى طريق السعادة الحقيقية .

وقد تنبأ الفيلسوف الإنكليزي برنارد شو بأن الإسلام سيكون دين أوربا في نهاية القرن العشرين .

وجاء وزير المواصلات الياباني جوشيرو كوياما ، ليكرر مؤكداً أن القرن الحادي والعشرين الذي نُظِّلَ عليه، هو قرن الدين حقاً . وهذا يعني تنمية القيم الروحية بعد مراجعة الحضارة المادية ...

... والإسلام هو دين الإنسانية جمعاء . وهو دين القرن العشرين، فإن المليار مسلم سوف يتضاعف وسيدخل في الإسلام ملايين كثيرة، وإن الدعوة الإسلامية تتطور في اليابان تطوراً ديناميكياً.

باعتراف الصحف الأجنبية «الإسلام ، أكثر الديانات .. انتشاراً في العالم»

ذكرت مجلة « التلجراف » الإسبوعية البريطانية ، أن الإسلام أصبح الآن أكثر الديانات انتشاراً بين شعوب العالم ، وقالت المجلة في تحقيق مصور عن انتشار الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا ، أن عدد المسلمين في العالم ، يبلغ الآن حوالي مليار مسلم ، وأضافت أن الزيادة الحاصلة في عدد المسلمين في العالم، بنسبة خمسين مليون نسمة سنوياً، تُرشد الإسلام ليصبح القوة المؤثرة في الأحداث خلال العقود القليلة المقبلة .

ومن جانب آخر، أبرزت صحيفة « يوغسلافيا » تزايد اعتناق الشعوب الغربية ، وخاصة الأمريكية للدين الإسلامي ، فيما أكدت بأن المسلمون يشكلون بعد ثلاثة قرون في الولايات المتحدة أغلبية تزيد عن عدد اليهود هناك، ليصبح الإسلام الدين الثاني في أميركا الشمالية. وأشارت صحيفة « الإكسبريس » بأن أول مسلم أمريكي سيدخل أعتاب الكونجرس خلال العامين أو الثلاثة المقبلة ، مما يشكل بداية منافسة كبرى بين اللوبي اليهودي واللوبي الإسلامي الجديد، والآخذ في الصعود . وقالت الصحيفة أن الإسلام أوقف الحواجز العنصرية داخل المجتمع الأمريكي المسلم ، وأصبح الأبيض والأسود، من خلال الدين الحنيف، يتعاونان في حياة واحدة ونظم مشتركة ، وأضافت أنه من المهم الإشارة بأن جميع المسلمين الأميركيين يؤيدون بقوة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وحقه في تقرير مصيره، مما يشكل ظاهرة بارزة داخل المجتمع الأمريكي .

وفي فرنسا وصل عدد الذين اعتنقوا الإسلام إلى نصف مليون فرنسي في السنوات الأخيرة ؛ ويقدر عدد المسلمين الإجمالي في فرنسا بأربعة ملايين مسلم، فأصبح الإسلام الدين الثاني في الدولة .

ومن المسلمين الإفرنسيين مفكرون وعلماء وفلاسفة وأطباء وأساتذة جامعة من أرفع المستويات العلمية والجامعية، مثل الفيلسوف روجيه جارودي والدكتور موريس بوكاي والأستاذ في جامعة باريس فانسان مونتييه والدكتورة ايثادي ميروفيتش الأستاذة في جامعة سوربون وغيرهم .

ولقد أدرك مفكرون مخلصون أمثال كارلايل وغيره، القيمة الذاتية لدين محمد؛ وإن أوروبا في القرن الراهن بدأت تعيش عقيدة محمد ودينه حتى يقال أن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ .

ويقول القس الإفرنسي لوزون : إن الله هو الله، وأن محمد وعيسى وموسى هم أنبياء الله . تلك هي صيغة الأديان التي سيعرفها أبناء المستقبل إن كان أبناء اليوم لم يستعدوا لها .

ومنذ سنتين تقريباً قررت الحكومة اليابانية إذاعة خطبة وصلاة الجمعة من مسجد طوكو ، خدمة للمسلمين اليابانيين . وذلك بعد الإنتشار الواسع الذي لقيه الدين الإسلامي بين أفراد الشعب الياباني، حيث أصبح معتنقوه خلال عشرين سنة مايقارب المليون ومازال في ازدياد مستمر .

إصدارات ... الإسلام قوة عالمية

« الإسلام قوة عالمية » عنوان كتاب جديد صدر مؤخراً ألفه رودلف هيلفي، وهو مستشار سابق لحكومة بافاريا في ألمانيا الغربية ويدين بالإسلام .
مؤلف الكتاب قال: إن الإسلام يتهدد لاستعادة دوره من جديد كقوة مؤثرة في العالم وأن العلامات السياسية الموجودة في العالم الإسلامي حالياً لا تمنع أن يعود الإسلام قوة كبرى كما كان في السابق .

وهذا الكتاب يأتي ضمن منشورات مركز الحكومة البافارية للثقافة السياسية على ستة أجزاء، تناولت العقيدة والشريعة والإسلام وتاريخه ومشاكل المسلمين المعاصرة ومفاهيم جديدة في الأخوة والتضامن الإسلامي. وقد قام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة باستنبول بتركيا بنشر ملخص لهذا الكتاب .

من جريدة البيان

٧١ مسجداً في نيويورك

ذكرت صحيفة "نيويورك تايمز" أن الإسلام ينتشر بسرعة فائقة في الأحياء التي يقطنها السود في الولايات المتحدة الأمريكية بصورة ملفتة للنظر .
ونقلت الصحيفة عن مدير مجلس المساجد في الولايات المتحدة داود أسعد قوله أن ٩٠ ٪ من الذين يعتنقون الإسلام في أميركا، هم من السود؛ وأنهم يؤكدون أن العقيدة الإسلامية تنظم حياتهم وتشعرهم بنوع من الإنتماء .

وأشار إلى أن مدن نيويورك ولوس المجلوس وشيكاغو وديترويت أصبحت مراكز كبرى للدين الإسلامي، وقال أن هناك ١١٢ مسجداً منها ٧١ في نيويورك فقط بعد أن كان عددها ثلاثة مساجد في عام ١٩٥٣ .

المواضيع التي يُهاجم بها أعداء الإسلام الدين الإسلامي

يقوم أعداء الإسلام بتلفيق تهم باطلة يلصقونها به وبالعرب والمسلمين، تتعلق بمواضيع شتى كالجزية والرق وانتشار الإسلام بالسيف ووضع المرأة في الإسلام وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .. الخ. وسأقوم تباعاً بمناقشة كل موضوع من هذه المواضيع على حدة .

١- الجزية : هي عبارة (تقاًماً) عن دفع بدل عن الخدمة العسكرية، ويُعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال والمرضى . إذ ليس من المعقول أن يقاتل أو يحارب شاب ذمي (أي مسيحي أو يهودي) في الجيش الإسلامي في سبيل أهداف إسلامية صرفية ومغايرة لمعتقداته الدينية . وهذا ذروة العدل والإنصاف والحرية والحضارة^(١)، وإن الذمي الذي يلتحق بالجيش الإسلامي ليقاقل دفاعاً عن البلاد يُعفى من الجزية؛ ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده شديدي الحرص على تحري الإنصاف في معاملة أهل الذمة الذين تُجبي منهم الجزية . فيذكر أبو يوسف في كتابه (الخراج) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَّى عبد الله بن أرقم على جزية أهل الذمة ؛ فلما ولى من عنده ناداه فقال له : ألا من ظلم معاهداً (أي ذمياً) أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة، أي أحاجه وأخاصمه .

وفي حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى يقول :
مَنْ آذَى ذمياً فقد آذاني وأنا خصمه يوم القيامة .

(١) ومن جهة أخرى فإن المسلمين مطالبون بدفع الزكاة « وهي فريضة محكمة » وتعني أخذ نسبة معينة من الأموال بشرائط مخصوصة وتوضع في بيت مال المسلمين أو ما يسمى اليوم بـ (خزينة الدولة لصرفها في المصالح العامة، بينما أهل الكتاب من اليهود والنصارى معفون منها، وليس من العدالة أن يُكلف قسم من المواطنين دفع أموال ، ويعفى منها قسم آخر ما دام الجميع يتمتعون بخيرات البلاد ويقسمون سراءها، وهذه الجزية تؤخذ منهم مقابل حماية المسلمين فإن عجزوا ردوا ما أخذوه منهم عليهم .

ومثال آخر على ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب مع اليهودي الذي كان يسأل الناس إحساناً في المدينة، فلما عرف حاله حط عنه الجزية وجعل له ولأولاده معاشاً من بيت مال المسلمين . فلم يكن المسلمون يستغلون ضعف أهل الذمة المادي للضغط عليهم للدخول في الإسلام

والبرهان على ذلك بقاء ملايين من المسيحيين واليهود حتى الآن في العالم العربي والإسلامي، يقيمون شعائرهم الدينية ويحتكمون إلى دينهم في أمورهم الدنيوية كالزواج والطلاق والميراث .. الخ .

وهذا مادفع المؤرخ والفيلسوف الإفرنسي الكبير جوستاف لوبون أن يقول كلمته المشهورة :

ما عرف التاريخ حاكماً أعدل ولأرحم من العرب .

وكما قال الشاعر العربي الفرزدق :

أولئك آبائي فجتنسي بمثلهم إذا جمعتنا ياجرير المجامع

٢) موضوع انتشار الدين الإسلامي بالسيف :

إن الدين الإسلامي لم ينتشر بالسيف كما يقول أعداؤه . . .

فالذين درسوا الإسلام من كبار المفكرين والكتاب المنصفين في الغرب، أمثال توماس كارلايل والسيرتوماس أرنولد وغيرهم، قد نفوا هذا الأمر نفيّاً باتاً، بعد الدراسات العميقة والمطولة التي قاموا بها .

فيقول مثلاً توماس كارلايل : إن اتهام محمد صلى الله عليه وسلم بالتعويل على السيف في حمل الناس على الإستجابة لدعوته سخف غير مفهوم .

ويقول السيرتوماس أرنولد، بعد سرده لأحداث واقعية من تسامح المسلمين على الشعوب المفتوحة :

وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسيحيين من المسلمين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق في القرن العشرين في أوروبا وجنوب شرقي

آسية واليابان وأمريكا الشمالية مع أنه لا يوجد أي سيف عربي أو إسلامي هناك ؟
وأكبر برهان على تسامح المسلمين هو نزوح اليهود منذ ٤٠٠ سنة تقريباً في جموع
هائلة هرباً من اضطهاد محاكم التفتيش في اسبانيا إلى بلاد السلاطين العثمانيين حيث كان
يسود الشرع الإسلامي هناك وعاشوا في أمان دون أي اضطهاد مئات السنين .
ويجب الاعتراف والتنويه، إلى أن التعصب والحقد الأسود والأعمال البربرية
واللاإنسانية التي قام بها الغرب ضد المسلمين والعرب ليس لها علاقة قط بالدين المسيحي،
فالنصرانية دين سلام ورفق وتوصية بالغريب وبراءة على الحزين وفيها هذا المبدأ
الشريف : أحبوا أعداءكم، فإن كنتم تحبون أصدقاءكم فأني فضل لكم ؟. وعلى كل، فكل
ماقامت به الأمم الأوروبية يختلف اختلافاً كلياً عن ما يأمر به السيد المسيح عليه السلام.

(٣) موضوع الرق

قبل أن نتكلم عن الرق في الإسلام ، يجب التنويه بأن الشريعتين اليهودية والمسيحية قد أقرتا الرق وبشكل صريح .

أما ما فعله الإسلام بهذا الموضوع، فيمكن أن يُختصر بالكلمة الإنسانية الرائعة للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأحد صحابة الرسول حين قال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

إن الإسلام قد ألغى جميع أنواع الإسترقاق (نتيجة الخطف والإغارة والمفاجأة ويسبب دين على إنسان أو بيع النفس .. الخ) .

وأيضاً حالة واحدة : وهي أسرى الحرب الدفاعية فقط لاغير، أي الدفاع عن الدين والوطن المسلم . أما الحرب الهجومية العدوانية فلا يحل استرقاق أسراها . ولا يمكن للإسلام أن يلغي هذا النوع من الإسترقاق، لأن العدو يأخذ أسرى أيضاً وهو النظام المعمول به حتى الآن . فالطرفان المتحاربان يأخذان الأسرى ثم يتبادلانهم بعد انتهاء الحرب .

فليس من المعقول أن يلغي طرف واحد الأسرى بينما الطرف الثاني يعمل به . إن كلمة استرقاق لم يأت ذكرها، لافي القرآن ولا في الأحاديث الشريفة . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث له :

لا تغل عبيدي وأمتي . ولكن قل فتاي وفتاتي ، حتى لا يشعر الأسير بقسوة الألفاظ في كل لحظة ويُجرح شعوره . وفي حديث آخر أيضاً قال : استوصوا بالأسارى خيراً . وهنالك كثير من الأمور جعل الإسلام عقوبتها تحرير رقبة (أي تحرير عبد) وهي :

- ١ - القتل الخطأ لمؤمن أو ذمي أو معاهد، كفارته مع الدية عتق رقبة .
 - ٢ - الإفطار بالجماع في شهر رمضان نهاراً، كفارته عتق رقبة مع القضاء، أي الصيام .
 - ٣ - الإفطار عمداً في شهر رمضان، كفارته عتق رقبة مع القضاء، أي الصيام .
 - ٤ - الحنث في اليمين بالله، كفارته عتق رقبة .
 - ٥ - إذا مزح الرجل وتلفظ بلفظ العتق لعبده مزاحاً، وجب عليه عتقه فوراً .
 - ٦ - وإذا ضرب السيد أسيره أو رقيقه، عاقبه الله، إلا أن يعتقه . وكذلك جعل الإسلام في ميزانية الزكاة جزءاً معلوماً لمساعدة الأرقاء في التحرر من أسيادهم .
- (أخذت هذه المعلومات من كتاب الإسلام والغرب وجهاً لوجه، للدكتور عبد المنعم النمر) .

(٤)- المرأة في الإسلام

يقول الفيلسوف روجيه جارودي عن المرأة في الإسلام في كتابه (ما يعد به الإسلام):
في القرآن الكريم لا تجد فيه أي إشارة إلى علاقة تبعية المرأة للرجل، بل يشير إلى أنها زوج من زوجين . والله تعالى خلق الجنس البشري كما خلق كل شيء أزواجاً ، والقرآن لا يحتمل المرأة مسؤولية الخطيئة الأولى بل إن آدم هو المسؤول. قال تعالى: (ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى) .

وفي الحق، أن القرآن، شأنه شأن الإنجيل والتوراة ، يمنح الرجل السلطة على المرأة، ولكن لدى مقارنة الأحكام القرآنية بنظير منها في المجتمعات السابقة، نلمس تقدماً ملحوظاً لاشك فيه بالقياس إلى تشريعات أثينا وروما، حيث كانت المرأة في مرتبة دنيا .
القرآن يعطي المرأة حق التصرف بما تملك . هذا الحق الذي لم يؤخذ به في معظم التشريعات الغربية. ولا سيما فرنسا. إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين . وصحيح أن القرآن يعطي في الوراثة للذكر مثل حظ الأنثيين (١) ...
... لكن كل الالتزامات والأعباء المترتبة على إعالة أفراد الأسرة تقع بالمقابل على عاتق الذكر ، أما الأنثى فلا تلتزم بشيء من ذلك .

وينص القرآن في سورة البقرة آية ٢٢٩ كما ينص الحديث المأثور الوارد في صحيح البخاري، على حق المرأة في طلب الطلاق وهذا ما لم تحصل عليه في الغرب إلا بعد ثلاثة عشر قرناً .
والقرآن يُقر تعدد الزوجات (أربعة فقط) . ولكنه لم يشرعه أصلاً ، فقد وُجد من قبل، وأشير إليه في التوراة والعهد الجديد، بل إن القرآن يفرض على تعدد الزوجات قيوداً، منها العدل التام بين مختلف الزوجات في الإنفاق والسكن والملبس والمعاشرة الجنسية .. الخ .
ويقول جارودي إن عدم تعدد الزوجات في المجتمعات الغربية هو حبر على ورق، بينما السائد الجاري هو تعدد الزوجات (وأعتقد أن جارودي يقصد هنا الخيانات الزوجية واتخاذ الرجل إجمالاً نساء خليات إضافة لزوجته) .

(١) وحسب قول بعض الفقهاء فإن هذا ليس في كل الحالات بل تأخذ المرأة مثل ما للرجل وقد تأخذ أكثر منه، كما هو الشأن مع الأب والأم في الميراث ومثلهما الأخت الشقيقة والأخ الشقيق .

ولأجل أن نبين أن التشريع الإسلامي الخاص بالمرأة كان ثورة على النظرة السائدة .. إليها، في ذلك الوقت وفيما قبله وبعده، مما شرعه البشر لها، أجد من المناسب والمفيد أن أضع أمام القراء .. المعلومات التالية المختصرة من كتاب الدكتور عبد المنعم النمر (الإسلام والغرب وجهاً لوجه) :

ففي جزيرة العرب: المرأة كانت مُحترقة تماماً وتحت رحمة وعنجهية الرجل وسلطانة، لا ترث وليس لها الحق في اختيار الزوج أو الرضا به إلا في بعض الأحوال الفردية النادرة .
وعند الهونان : كانوا يعتبرونها رجساً من عمل الشيطان، يبيعونها ويشترونها ولا حق لها في التصرف بملكها .

وعند اليهود : تحرّم من الميراث إذا كان لها أخ أو إخوة، ويُحجّر عليها أن تتزوج من غير عائلتها . وكانت النظرة لها عموماً كنظرتهم للخدم .

وفي المجتمع المسيحي : كان يُنظر إليها أنها مدخل الشيطان، وشر لا بد منه .
أما الإسلام : فقد عامل المرأة بشكل يختلف اختلافاً كلياً، كما ذكر سابقاً . فحقوق المرأة على الرجل، مثل حقوق الرجل على المرأة . ولكن للرجل درجة على المرأة لأنه هو المسؤول عن رعاية أسرته ، ولم يُكلّف الإسلام المرأة مشقة ذلك ؛ ويقول بعض الفقهاء أنه حسب الآيتين في قوله تعالى : (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) وقوله عز وجل (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ، بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَبِأَنفُقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) والدرجة والقوامة هنا الإشراف على الأسرة، وهي شركة بل أهم شركة في الحياة، ولا بد لها من رئيس؛ وقد ثبت عملياً وبالتجارب، أن الرجل أقدر على إدارتها من المرأة عندنا وعند غيرنا ..

ومنذ ولادة البنت، يتوجب على الأب أن يقوم بكامل الرعاية التي يقوم بها لولده الذكر . فقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم بجوار ما جاء بالقرآن، أن من كانت عنده بنت أو بنات فأدبهن ورباهن وأحسن تربيتهن وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ .

وفي حديث آخر للرسول صلى الله عليه وسلم، قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم . وكلمة مسلم حسب المعنى وشرح الحديث تعني جنس المسلم ذكراً كان أم أنثى .
وقد وصل احترام النساء في صدر الإسلام لدرجة أن قامت امرأة في المسجد تعارض

الخليفة عمر بن الخطاب في رأيه . وبعد المناقشة، قَبِلَ رأيها وصحح رأيه، وذلك قبل خمسة عشر قرناً؛ حينما كانت المرأة في ذلك الوقت تُعامل كالحَيوانات خارج البلاد الإسلامية . وكذلك أعطى الإسلام المرأة الحرية المطلقة لاختيار الزوج الذي تريده ولا يستطيع شرعاً وليُّها أن يجبرها، فإن أُجبرَها أصبح نكاحها باطلاً شرعياً .

وبعد الزواج يوصي القرآن الكريم الأزواج بمعاشرة زوجاتهم بالمعروف؛ إذ تقول الآية ١٩ من سورة النساء: « وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِيْ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيراً » .

وحين حدوث اختلاف بين الزوجين وشعور المرأة أن وضعها الزوجي أصبح لا يطاق ؛ يفتح الإسلام أمامها باب التخلص من هذا الزواج، إن لم يطلقها الرجل، وذلك بتعويض، وهو سمي فقهاً وقانوناً بالخلع وهو أن تدفع له شيئاً نظير فراقها له .

وكذلك لا يقبل الإسلام أن تبقى المرأة تحت إرهاب الزوج، ففي هذه الحالة إذا أثبتت، يمكن للقاضي أن يطلقها ويلزم الزوج بتعويض يسمى مُتعة لها، على حسب ما يراه القاضي . وللمرأة في الإسلام الحق في أن ترث وتتاجر وتتملك ما ترثه، وتبرم العقود . وإذا كانت المرأة ترث نصف ما يرث أخاها فللأسباب التي ذكرتها سابقاً، وهي أن الرجل هو المسؤول عن إدارة الأسرة ومصاريفها كاملة .

ماذا يقول الغرب عن المرأة في الإسلام

يقول الفيلسوف الإفرنسي الكبير قولتير : إن القرآن يختلف عن التوراة بأنه لا يجعل ضعف المرأة عقاباً إلهياً- كما ورد في سفر التكوين الأصحاح الثالث عدد ١٦ . ومن الخلط أن يُنسب إلى مشرع عظيم كمحمد مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء . وقالت جريدة المونيتور الإفرنسية : إن الحقوق الشرعية التي منحها الإسلام للمرأة تفوق كثيراً الحقوق الممنوحة للمرأة الإفرنسية . ويقول جوستاف لويون في كتابه حضارة العرب : إن الشريعة الإسلامية أعطت المرأة حقوقاً في الموارث لا نجد مثلها في قوانيننا الأوروبية ؛ وإن جميع الأديان والأمم التي جاءت قبل العرب أساءت إلى المرأة . وهاهو الغرب يعود تدريجياً إلى التشريع الإسلامي المنطقي والمعقول، فيبيح الطلاق في كافة بلدان العالم المسيحي في أوروبا وأمريكا . لأن عدم الطلاق يضطر الرجل إلى اتخاذ خليات (وأحياناً المرأة) فتكون النتيجة إنجاب أولاد غير شرعيين . فقد ذكرت مجلة ويبستر الأمريكية أنه يوجد في أمريكا عشرة ملايين من الأطفال اللقطاء .

(٥)- موضوع تعدد الزوجات

قال ويسنمارك العالم الثقة في تاريخ الزواج، إن تعدد الزوجات-باعتراف الكنيسة- بقي إلى القرن السابع عشر .

ويقول العالم جروثيوس : إن شريعة الأنبياء في العهد القديم تبيح تعدد الزوجات دون ماحذ ؛ فكان لنبي الله داؤود تسعة وتسعون زوجة، وللنبي سليمان سبعمائة زوجة عليهما السلام .

وهكذا، فالتوراة تبيح التعدد، ولم يأت في الإنجيل ما ينسخ ذلك، إذ يقول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام : لا تظنوا أنني جئت لأهدم بل لأبني . وقد أعلنت الكنيسة رسمياً السماح للإفريقيين النصارى بتعدد الزوجات، وحدث ذلك في القرن العشرين .

وحسب رأي العالم الفاضل توماس، فإن العلاج الوحيد لمشكلة البنات الشاردة (والتي تضطر لممارسة البغاء لكي تعيش) هو إباحة تعدد الزوجات .

ففي عام ١٩٤٩ طلب أهالي بون عاصمة ألمانيا الاتحادية من السلطات المختصة بأن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات .

ونشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١١/٤/١٩٦١ خبراً مفاده أن الحكومة الألمانية الاتحادية أرسلت إلى الأزهر تطلب منه موافاتها بنظام تعدد الزوجات بالإسلام، لأنها فكرت في الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء .

ثم جاء من علماء الألمان واتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية. وهناك ملاحظة مهمة هي أن القرآن الكريم اشترط في تعدد الزوجات أن يكون هنالك عدل مطلق وكامل في معاملة الزوج لكافة زوجاته، فلا يفضل واحدة على أخرى، لا بالمال، ولا بالعناية، ولا بالملبس، ولا بالمعاشرة الجنسية .. الخ .

وبعد هذه التوصيات القاسية تقول الآية الكريمة في القرآن من سورة النساء : «فَإِنْ جَفَعْتَ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً». وفي الآية ١٢٩ من نفس السورة، يقول الله تعالى فيها : «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ، وَلَوْ حَرَصْتُمْ» .

أما موضوع قلب الإنسان وميله إلى زوجة أكثر من الأخرى، فهذا لا يمكن التحكم فيه إلا ضمن حدود . إذ لما نزلت الآية الكريمة : « فَلَا تَهْتَلُوا كُلُّ الْمَهْلِ فَعَذْرُهَا كَالْمُعَلَّةِ » تَوَجَّه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه فقال : (اللهم إنني عدلتُ فيما أملك، ولا حيلة لي فيما تملك ولا أملك) ويعني بذلك قلبه .

والمهم في تعدد الزوجات أن ليس من العدل أن يبقى زوج مع زوجة واحدة طول حياته لا تنجب الأولاد مثلاً، أو مريضة مرضاً لا شفاء منه، أو شرسة وسيئة الأخلاق تحيل حياة زوجها في بيته إلى جهنم . فللرجل الحق في هذه الحال إذا كان لا يريد طلاقها. لوجود أولاد مثلاً. أن يتزوج امرأة ثانية عليها لينعم معها بحياة زوجية سعيدة، ويجب أن لا تنسى حالات الحروب التي يذهب ضحيتها الألوف بل الملايين من الرجال وتبقى النساء بلا معيل ، لأزواج. فما الحل .. ؟! واحدة من ثلاثة :

١ - إباحة الزنى، وهذه الحالة مرفوضة عقلاً وإنسانية وعلماً .

٢ - الحكم عليهن بعدم الزواج، وهذه مرفوضة أيضاً واقعياً .

٣ - التعدد، وهو الحل المقبول المعقول .

اقوال بعض المفكرين الأجانب في موضوع تعدد الزوجات

قال الأستاذ جوستاف لوبون :

إن تعدد الزوجات، على مثال ما شرعه الإسلام، من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به، وأوثقها للأسرة عقداً، وأشدّها لآخرتها إزرأً ومن الطبيعي أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالاً وأوجه شأنًا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية .

وقال : ولست أدري على أي قاعدة يبنى الأوروبيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام، نظام تعدد الزوجات ، عن نظام التفرد عند الأوروبيين المشوب بالكذب والنفاق ؟! على حين أرى هنالك أسباباً تحمّلني على إثبات نظام التعدد على ماسواه . وليس عجيباً بعد ذلك أن ترى الشرقيين الذين ينتجعون إلينا ويتنقلون بين مدائننا يحارون من قسوتنا في الحكم على نظام تعدد الزوجات .

وقد حَبَّ شوينهاور، الفيلسوف الألماني تعدد الزوجات وقال :

أما أَنْ لَنَا أَنْ نَعُدَّ، بعد ذلك، تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره ؟

قال ذلك بعد شرح مَضَارِّ

الإقتصار على زوجة واحدة ، ومما قال : في مدينة لندن وحدها ثمانون ألف بنت عمومية (هذا في عهد شوينهاور، والله أعلم كَمْ هو عددهن اليوم !!) سَفِكَ دم شرفهنَّ على مذبحه الزواج ضحية الإقتصار على زوجة واحدة، ونتيجة تعنت السيدة الأوربية وماتدَّعيه لنفسها من الأباطيل .

وقال إذا رجعنا إلى أصول الأشياء وحقيقتها لانجد سبباً يمنع الرجل من التزوج بشاتية، إذا أصيبت إمرأته بمرض مزمن تتألم منه، أو كانت عقيماً، أو أصبحت على توالي السنين عجوزاً .

إن الرجل المتزوج في الأمم المسيحية، التي لا تبيح .. تعدد الزوجات، لا يقتصر في الحقيقة على إمرأة واحدة، بل نراه يتخذ كثيراً من الخليلات ويبيع لنفسه التمتع بمن أحب منهن . لكنه إن أبدى رأيه أو كتب في موضوع الزواج طعن على تعدد الزوجات ورمى المسلمين بالهمجية والتعدي على حقوق الزوجة، وزَّعم أنهم شهوانيون. ولذلك قال الأستاذ لوبون عن نظام تفرد الزوجة بين الأوربيين أنه مشوب بالكذب والنفاق .

وصرح بذلك أيضاً شوينهاور فقال : أين لنا بمن يقتصر حقيقةً على زوجة واحدة، بل لا ننكر أننا في بعض أيماننا أو في معظمها، كلنا أو جلنا يتخذ كثيراً من النساء (من كتاب محمد رضا : محمد صلى الله عليه وسلم) .

في دراسة للعالم كنزي Kinsey قام بها في أمريكا، أن ما يقارب من ٦٠ ٪ من الرجال يخونون زوجاتهم، ويقابل ذلك نسبة ٤٠ ٪ من النساء يفعلون نفس الشيء . أما فيما يتعلق بموضوع الطلاق، فإن الشريعة الإسلامية جعلت هذا الأمر بيد الرجل، لأن الرجل يتحكم أكثر من المرأة بأعصابه فلا يتخذ قرارات سريعة إجمالاً مثل المرأة، على الرغم من أن هنالك نساء أكثر تعقلاً واتزاناً من الرجال .

كما أن الزواج يقع أكثر أعبائه على الرجل فيكون الرجل قد تحمل مصاريف باهظة لزوجاته فلا يعقل أن يهدم ويخسر كل هذا بنزوة فجائية من زوجته .

ومع ذلك فإن للزوجة الحق بطلب الطلاق إذا اشترطت ذلك مسبقاً في عقد النكاح، أو يمكنها ذلك عن طريق ما يسمى بالخلع وهو ما ذكرته بالتفصيل سابقاً (وهو دفع مبلغ من المال للزوج أو التنازل عن المتأخر من المهر . أو عن طريق القاضي، إذا وجد هذا الأخير أن ليس هنالك أي حل بالتفاهم بين الزوجين فيحكم بالطلاق .

وبعد المأسي الاجتماعية التي ظهرت في العالم الغربي بسبب منع الطلاق، فإن كافة الدول الأوروبية (ومنها إيطاليا، حيث نصت على الطلاق في دستورها بعد إجراء استفتاء للشعب، كانت الأغلبية موافقة عليه) والأمريكية منذ عام ١٩٧٠ وما بعد، أصدرت القرارات بإباحة الطلاق، حتى أن التشريع الإفرنسي للطلاق يَقتَرِب . . من التشريع الإسلامي إلى حدٍ كبير، واعتبروه حركة إصلاحية كبيرة بشأن الأسرة .

عالم امريكي يُبرّر تعدّد الزوجات، بيولوجياً ونفسياً

الملايين من الأمريكيين ذهلوا قبل مدة من خلال استماعهم إلى راديو شبكة (إن - بي - سي) الذي كان يجري مقابلة مع واحد من أساتذة علم النفس في جامعة بيل التي تعتبر من أشهر الجامعات الأمريكية إطلاقاً، وهو الدكتور هارفي روبن .
فقد قال روبن في حديثه خلال برنامج «شبكة الحديث» أن « الإكتفاء بزوجة واحدة أمر غير طبيعي » .

وأكد أن الدراسات النفسية تثبت أن الشخص المُطلق والذي يتزوج ثانية يكون أقرب إلى الإرتياح والسعادة مما لو استمر في زواجه الأول . وإذا صَدَف وطلق الثانية ليتزوج الثالثة والرابعة وغيرها فإنه يماشي الطبيعة ومتطلبات الحياة أكثر .

وقال في ذلك اللقاء أيضاً : إن اقتران الرجل بأكثر من امرأة واحدة في وقت واحد أو «في زيجات» متباعدة هو تصرف أقرب إلى الصواب وأكثر فائدة للصحة النفسية والبدنية ، كما أنه أمر منطقي بناء على دراسات استفتائية مثيرة في نتائجها .

وأشار إلى تلك الإستفتاءات، فقال: إن أكثر من خمسين في المائة من الزيجات في أميركا تنتهي بالطلاق، ثم إن بين الذين يستمرون في الحياة الزوجية واحد فقط من كل خمسة ، أي عشرين في المائة فقط، يشعرون بالاستقرار ويرتضون ذلك عن حب ومشاعر متبادلة أو حماسة .

والباقيون يحافظون على الرباط الزوجي بسبب وجود الأولاد، أو للحفاظ على مركز اجتماعي، أو مراعاة لمواقف معينة، أو لعدم القدرة على مغامرة زواج جديدة .

ويفاجئ الدكتور روبن المستمعين بآراء مثيرة، إن مقالته هو أنه نتائج دراسات استفتائية خاصة، حين راح يؤكد أن نسبة عالية من الذين يُظهرون سعادتهم ورضاهم وقناعتهم بالحياة الزوجية ، إنما يخونون زوجاتهم ويتخذون صديقات وعشيقات بالسر أيضاً، حفاظاً على وضع اجتماعي محدد، ويتخذون ذلك تحت ستار من الكذب الاجتماعي المفضوح من أنها سكرتيرة أو مجرد زميلة عمل أو غير ذلك من الذرائع العابرة .

٥٥ في المائة من الذين استجوبوا في الإستفتاء، وصَفُوا حياتهم الزوجية بكلمة

«وسط» أو مقبولة أو «ماشي الحال» ، ولكن الغريب أن الذين وصفوا حياتهم الزوجية بالسعادة والكلمات الفخمة هم الأكثر في إقامة علاقات خارج رباط الزوجية . وقال أيضاً أنه لا يعرف مبرراً لمثل هذا الموقف إلا النفاق الإجتماعي .

ولاحاجة بيولوجية إطلاقاً للتقيد بزوجة واحدة - وقال أيضاً أنه يعرف أنه رغم الحرية والمساواة في أميركا إلا أن المجتمع يتقبل أن يكون للرجل عشيقة ولا يتقبل ذلك بالنسبة للمرأة علناً ، على الأقل، ومع ذلك فإن الزواج الأحادي ليس موجوداً إلا لدى الأقلية، والذين يتظاهرون به يعانون في معظمهم الكثير من المتاعب النفسية حين يريدون التوفيق بين المظاهر وحقيقة تصرفاتهم ومفاهيمهم أيضاً .

المهم أن الآراء التي أطلقها هذا الباحث النفسي المعروف أثارت الكثير من الضجة في وسائل الإعلام الأمريكية، كما أثارت ردود فعل مختلفة ومتباينة من أفراد ومؤسسات هناك .

موضوع زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم (١)

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم عن تسع زوجات ؛ وكان ممن تزوجهن ثمانية منهن نيبات وبعضهن عجائز، والتاسعة هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوجها الرسول طيلة عمره . هذا مع العلم كما قلت سابقاً أن نبي الله داؤود كان له تسع وتسعون زوجة أكملهن بالزواج من زوجة قائده «أوريا»، ونبي الله سليمان كانت له حسب ما جاء في التوراة سبع مائة من الحرائر وثلاثمائة من الجوارى، وكفى أجمل أهل زمانهن .

وهذان النبيان يحترهما ويؤمن بهما المسيحيون واليهود، كما يؤمن بهما المسلمون ؟ وفيما يلي أسماء زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وظروف زواجه منهن . وسيرى القارئ بعد ذلك، أن ما اتهم به الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شهواني جنسياً ، كذب وبهتان واقتراء حقير، سببه حقد أسود دفين في قلوب أعداء الإسلام والمسلمين . وأن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم كان لأسباب تشريعية واجتماعية وسياسية وإنسانية .

تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة، بالسيدة خديجة، وكان عمره ٢٥ / سنة وعمرها ٤٠ سنة، وبقي معها ٢٥ سنة حتى توفيت. أي عاش بزوجة عجوز حتى توفيت ، وبلغ عمره معها (٤٥) عاماً .

الزوجة .. الأولى، بعد وفاة السيدة خديجة :

هي سودة بنت ذمعة، أرملة كبيرة السن، لأنه لم يبق لها أحد يعيلها، ورفضها الجميع لكبر سنها وحدة أطباعها، فتزوجها الرسول شفقة عليها .

الزوجة الثانية :

عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي المرأة البكر الوحيدة التي تزوجها صغيرة السن، ولم يعاشرها معاشره الزواج إلا بعد أربع سنوات من وفاة السيدة خديجة . وزواجه منها لثمتين صداقته مع أبي بكر ؛ وهذا الزواج لأسباب اجتماعية .

(١) ذكر الشيخ متولي شعراوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجب عليه أن يقتصر على هذا العدد فلا يتجاوز، ولو مثنى كلهن، أو طلق كلهن، لقوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) بينما يستطيع المسلمون أن يتزوجوا عند موت زوجاتهم أو طلاقهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم مُنِع من ذلك ووقف عند هذا الحد .

الزوجة الثالثة :

حفصة بنت عمر بن الخطاب : تزوجها أرملة، وذلك تقيناً للروابط بينه وبين الصحابة، خاصة بعد أن رفض أبو بكر وعثمان أن يتزوجاها؛ أي أن هذا الزواج سياسي .

الزوجة الرابعة :

أم سلمة هند بنت أمية المخزومية ، توفي زوجها شهيداً وهو يقاتل دفاعاً عن الإسلام وترك لها أولاداً دون أي معيل فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يرعاها هي وأولادها. مع العلم أنها كانت كبيرة السن .

الزوجة الخامسة :

زينب بنت خزيمة (أم سلمة) تزوجها كالسابقة على أساس أنها أرملة شهيد لامعيل لها. وهي لاصبا فيها ولاجمال يغري بها الرجال ولم تعيش معه إلا قليلاً .

الزوجة السادسة :

السيدة جوبرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية . تزوجها لأن أباهـا وقبيلتها كانوا ألد أعداء الرسول والمسلمين . وكانت نتيجة هذا الزواج دخول عشيرتها بأجمعها بالإسلام ؛ أي أن الزواج كان سياسياً .

الزوجة السابعة :

أم حبيبة بنت أبي سفيان، تزوجها أرملة ولم يكن لها أحد، وهي مسلمة وأهلها كفار تنكروا لها ولم تحجد من يعيلها . فتزوجها الرسول رحمة بها (وكان عمره ستين عاماً) وتقديراً على إخلاصها لدينها الإسلامي .

الزوجة الثامنة :

زينب بنت جحش، تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم ليقضي على عادة سيئة متأصلة عند العرب قبل الإسلام، وهي اعتبار المتبني عبد عتيق^(١)، وهذا الزواج كان له فائدة تشريعية كبرى في الدين الإسلامي وفائدة انسانية أيضاً .

(١) أي اعتبار المتبني - الإبن غير الصلبي-كالإبن الصلبي في حرمة الزواج من مطلقته على المتبني في الجاهلية . فجاء التشريع الإسلامي لهدم هذه العادة السيئة وإبطالها وإباحة الزواج منها إذا طلقها المتبني أو مات عنها .

الزوجة العاشرة :

السيدة صفية بنت حيي . زعيم اليهود في المدينة، وقد تزوجها بموافقتها ورضاها ودون إكراه . وكان هدف الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرب بين اليهود والإسلام وأن يثبت للجميع بأنه لا يريد إراقة الدماء بين الطائفتين ويريد هداية البشرية وجمعها على المحبة والأخوة والسلام .

الزوجة العاشرة :

السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية وكانت كبيرة السن وعرضت نفسها للزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم . وهو زواج سياسي كان نتيجته دخول عدد لا يستهان به من العرب في الإسلام . أي أن الزواج هنا كان أيضاً سياسياً .

سارة القبطية :

أهداها المقوقس حاكم مصر . وكانت هي الزوجة الوحيدة التي أُهبطت له ولداً سماه إبراهيم لذا كانت منزلتها عنده كبيرة .

ولو كان الرسول رفض هدية المقوقس لتوترت العلاقات بينه وبين حاكم مصر القبطي ولعد ذلك إهانة شخصية للمقوقس، والزواج هنا أيضاً سياسي .

وقد يتساءل البعض لماذا حدد القرآن الزوجات بأربع، بينما الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج بأكثر من هذا العدد ؟

والجواب أن الرسول صلى الله عليه وسلم كرئيس دولة، ويسبب مسؤولياته الكبيرة وصلاته السياسية العديدة، ولكي يرضي جميع العرب تقريباً، حتى المسيحيين واليهود منهم، اضطر إلى زيادة زيجاته عن الأربعة، وجاءت كلها في مصلحة الإسلام والمسلمين لأن كل عشيرة وطائفة كانت تتشرف بمصاهرة الرسول عليه السلام .

وإن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم يُعتبر منتهى الحكمة والدهاء السياسي، علماً بأن القسم الأعظم من زيجاته تمت وهو في سن الشيخوخة ومن سيدات كبيرات في السن . ومن هنا يمكن نفي كل فكرة شهوانية أو غيرها عن الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا مع العلم أنه طوال حياته كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعيش عيشة أذى من عيشة الكفاف، وقد قبل زواجه ذلك تشرفاً به .

وأى الكاتب المسيحي الكبير توماس كارلايل بالموضوع السابق: قال توماس كارلايل في كتابه « الأبطال » عن محمد « البطل العظيم » :
... وقد قيل وكُتب كثيراً في شهوانية الدين الإسلامي، وأرى أن كل ما قيل وكُتب جوراً وظلم . ثم يقول "وما كان محمد أخا شهوات، برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً، ولشر ما نجور ونخطئ: إذا ما حسبناه رجلاً شهوياً لأهمَّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ. كلا؛ فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ، أية كانت ...
... لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله وملبسه وسائر أموره وأحواله ؛ وكان طعامه عادة الحبز والماء ؛ وربما تتابعت الشهور ولم توقد بذاره نار، وكان يصلح نعله ويرفو ثوبه بيده .

فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله وفي نشر دين الله، غير طامع في رتبة أو دولة أو سلطان .

إباحة زواج المسلم من الكتابية . ومنع المسلمة من الزاوج بالكتابي :

السبب هنا بسيط جداً . فالمسلم يؤمن بالأنبياء عيسى وموسى وما قبلهما، لذلك فإن هذا الإيمان هو أرضية مشتركة مع زوجته. بينما الكتابي لا يؤمن بمحمد كرسول الله عزوجل، لذلك فلا يمكن أن يوجد هنا أرضية مشتركة لوافق في الزواج .
وحتى في زواج مسلم من كتابية، فإن القرآن الكريم فضّل الزواج بمسلمة على الزواج بكتابية على الرغم من أنه لم يمنع ذلك .

(إن موضوع تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، أختصر من كتاب الإسلام والقرب وجهاً لوجه للدكتور بعد المنعم النمر) .

موضوع القضاء والقدر

إن موضوعه سهل جداً، فالله تعالى منذ أن خلق الكون وخلق جميع المخلوقات البشرية والحيوانية وغيرها، على علم تام بكل ثانية من حياة كل مخلوق، وماذا سيفعل بحياته، دقيقة بدقيقة .

ولكن هذا العلم بالغيب، ليس معناه التأثير على العبد، وعلى حريته بالعمل . فالإنسان حر بكل مايعمله، بكل ثانية، من خير أو شر، وبكل لحظة، ومسؤول في الدنيا والآخرة عن كل مايعمله، وإلا لما بقي هنالك معنى للشواب والعقاب والجنة والنار. وبعبارة أخرى فإن موضوع القضاء والقدر، لايعني أبداً سلب حرية الإنسان وأنه كالريشة المعلقة في الهواء؛ إذ لو فكر كل منا فيما يقوم به من عمل لوجد نفسه أنه حرٌ فيما يفعل أو يذر، فهو حينما يريد أن يجلس أو يقوم أو يمشي أو يركب لا يحس بأي ضغط خارجي عليه وإنما يفعل ذلك بكامل حريته ، وعليه فهو مسؤول عنها، ولايجوز مطلقاً الإحتجاج بالقضاء والقدر على الأفعال القبيحة بدعوى أن الله قد كتبها علينا فلا اختيار لنا فيها، لأنها دعوى باطلة ولابرهان عليها. إذ لم يُطلع على علم الله وماهو مكتوب عليه حتى يزعم هذا الزعم.

مقتطفات من كتاب (تربية الإنسان المسلم) للشيخ متولي الشعراوي . يذكر فيها تسامح الإسلام وعدله ..

الحمد لله كما علمنا أن نحمد .
وأصلي وأسلم على خير خلقه سيدنا محمد .
وبعد .
فقد انتهينا في اللقاء السابق إلى أن الإسلام جاء بعد ديارتين .
جاء على المسيحية، وكانت المسيحية قد جاءت على اليهودية .
ونحب أن نعرف كيف عالج الإسلام قضية التقاء الأديان .
ونحب أن نعرف كيف عالج الإسلام قضية الإلحاد .
جاء الإسلام والعالم معسكران :
معسكر ملحد بالله لا يؤمن إلا بالمادة .
ومعسكر مؤمن بالتقاء السماء بالأرض في منهج رسل الله إلى خلق الله .
فكان الإسلام كعهده دائماً منطقياً مع واقع الحياة .
استقبل الإسلام كل أمر بما هو أهل له .
استقبل الإلحاد بلا هوادة وأعلن على الإلحاد عداوة سافرة . لأن الخلاف مع الإلحاد
إنما هو في قمة التدين .. وهو خلاف على وجود إله قادر مدبر لهذا الكون .
وواجه الإسلام المعسكر الثاني .. معسكر الذين يؤمنون بوجود إله . ويؤمنون

ببلاغ من السماء إلى الأرض على لسان رسل وأنبياء يصطفاهم الله سبحانه وتعالى ..
فكيف استقبل الإسلام مانسميهم أهل الكتاب من يهود ونصارى ؟
لقد استقبلهم الإسلام استقبلاً سحياً .
استقبال سلام .
استقبال أمن .

فذكر كل الخواص الكريمة التي كرم الله بها موسى عليه السلام وعيسى بن مريم عليه السلام .

كرم الإسلام موسى تكريماً لا حد له .
وكرم الإسلام عيسى تكريماً لا حد له .
ونفي الإسلام عن عيسى كل ما يمكن أن يكون سبباً في إذلاله أو أن تتهم به أمه .
كرم الإسلام الرسولين الكريمين تكريماً كبيراً، وذلك ليقر مبدأ التقاء السماء بالأرض .
ولذلك .. نجد أن الفرس الذين كانوا يمثلون المجوسية والإلحاد، هم الأبعد عن احترام الإسلام .

ونجد الروم الذين يمثلون المسيحية وأهل الكتاب، كانوا أقرب إلى قلب رسول الله والمؤمنين برسول الله .. ذلك أن الروم كانوا من أهل الكتاب ..
فلما نشبت المعركة بين الروم وفارس ... وتمت هزيمة الروم على يد فارس، حزن رسول الله .. وحزن المؤمنون برسول الله .

لأن العداء بين المسلمين وأهل الإلحاد هو عداء في القمة .
ولكن الخلاف ما بين الإسلام وما بين الديانتين العظيمتين، فهو خلاف قد يكون في تصور الإله .

وتصور الإله هو المشكلة في الديانتين .
لكن الإلتقاء بين السماء والأرض، وخضوع الأرض لمنهج السماء هي أمور متفق عليها .

لذلك كان قلب رسول الله وقلب المؤمنين برسول الله مع أهل الكتاب من الرومان عندما هزمهم الفرس .

وفي ذلك ينزل الله قرآنًا يتلى .. ليدل الناس جميعاً على أن الإسلام ورسول الإسلام
قد أحب الذين كفروا بمحمد كنبي ولكنهم مؤمنون بالله .. أحبهم عن الذين كفروا بالله .
فعصية محمد صلى الله عليه وسلم لربه أقوى من عصبية لنفسه .
والذين كفروا برسول الله محمد .. أقرب إلى قلب رسول الله محمد من الذين كفروا
بالله .

إذن ...

فعصية محمد صلى الله عليه وسلم لربه أقوى من عصبية لنفسه .
والذين كفروا برسول الله محمد .. أقرب إلى قلب رسول الله محمد من الذين كفروا
بالله .

ولذلك حزن رسول الله حين هَزَمَ الفرس المنكرون لله .. المؤمنين بالله وهم الروم، وإن
كانوا كافرين بمحمد .

فقال الله في كتابه الكريم :

« أَلَمْ . غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ .
فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »

" الآيات من ١ - ٥ من سورة الروم . "

تبدأ الآيات الواضحة بحروف الألف واللام والميم، لبيان أن هذا القرآن مُكوّن من
الحروف التي ينطق بها العربي في سهولة ووضوح، ولتنبيه من يستمع إلى الآيات إلى أن
ما يحمله هذا الكتاب يصدق دائماً . وإذا كانت فارس قد غلبت الروم بأقرب الأرض إلى
المسلمين وهي أطراف الشام .. وإذا كان المشركون برسالة محمد وعبدة الأصنام قد فرحوا
بانتصار الفرس على أهل الكتاب في الروم .. وإذا كان المؤمنون بالله من أتباع محمد قد
حزنوا لذلك .. فإن الله يتنبأ في القرآن بنصر واضح أن الروم ستغلب فارس بعد سنوات
والأمر دائماً لله .. ويوم يتحقق نصر أهل الكتاب على الملاحدة سيفرح المؤمنون .. وهكذا
نجد أن المسلمين قد فرحوا لنصر أهل الكتاب .. لأننا نحن وهم مؤمنون في القمة وإن كنا
مختلفين في الرسول الذي أبلغ لنا رسالة " الإيمان " .

نحن مؤمنون بالرّسولين موسى وعيسى .

وهم وقفوا عند محمد موقف النكران .

ورغم ذلك فقلوب المؤمنين وإشارة الله للمؤمنين، أن الله سينصر من آمن بالله حتى وإن كان كافراً بمحمد - على الذين ألدوا وكفروا بالله . لذلك قال القرآن «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرِ اللَّهِ» .

وهل رأى أحدٌ سماحة في الإسلام أحلى من هذه السماحة ؟

هنا قلوب المؤمنين بمحمد مع الذين يكفرون بمحمد . لأن الذين كفروا بمحمد آمنوا برب محمد . وإن اختلفوا في التصور الإيماني للإله الذي يؤمنون به .
ودليل آخر على نبوة محمد ..

لنسأل أنفسنا .. كيف يأتي لرسول الله وهو النبي الأمي في الأمة الأمية أن يحكم في نهاية معركة بين أكبر قوتين في الأرض في ذلك الزمان ؟ .. كيف يتنبأ محمد بأن الروم - قوة الغرب - ستهزم فارس في الشرق ؟ ..

كيف يحكم ويفصل في معركة لم تبدأ .. وحرب لم تقم، ويقول إن ذلك سيحدث في بضع سنين .

من الذي يستطيع أن يحدد نهاية معركة مابين قوتين كبيرتين .

لو أن هذا التنبؤ قد حدث في عصرنا هذا . لقلنا أن عند محمد أخباراً بأسلوب أعداد الروم لمعركة قادمة تنتصر فيها على الفرس .

لكن هذا التنبؤ حدث في عصر قديم .

ومسئولية كبيرة ورهيبة هي أن يحكم محمد في نصر الروم على الفرس في بضع سنين وهي مسافة من الوقت واسعة .

فكيف يتأتى لمحمد أن يحكم في مصير معركة ..

أولاً : هو ليس طرفاً فيها ..

وثانياً : إنه لا يعلم ماقد يجد في فترة بضع سنين من قوة هذا الطرف أو ضعف ذلك الطرف .

ثم .. يطلق قضية نصر الله للروم على الفرس بعد بضع سنين ويحدد أيضاً مشاعر

المؤمنين لحظتها بالفرح .
إنَّ دَلَّ هذا على شيء ، فإنما يدل على أن الرسول ينطق عن ربه الذي يعلم الأحداث كما تقع .
ولا يمكن أن يطلق الرسول قضية قرآنية تُتلى وتُحفظ ويتعبد بها المؤمنون ، ليأتي
المستقبل بما يكذب الرسول . وتعرض دعوته كلها لهزة عنيفة .
لا يمكن أن يعرض محمد صلى الله عليه وسلم أمر دعوته للأخطار بالتنبؤ بانتصاره يحدث .
لكن السنين تمر ويأتي نصر الله للروم على الفرس .
وصادفَ ذلك أن نصرَ الله المؤمنين على الكافرين في يوم بدر .
وصدق قول الحق تبارك وتعالى في كل كلمة نطق بها الرسول ، وكان انتصار أهل
الكتاب على أهل الإلحاد يُفرح المؤمنين ، وكان انتصار المسلمين على أهل الأصنام يفرح
المؤمنين المنتصرين .

فرح المسلمون بانتصار الروم - أهل الكتاب - لماذا ؟
لأن قضية الإيمان بالحق تبارك وتعالى مُتفق عليها ، وكان الخلاف فقط في المنهج الذي
يتصور أهل كل ديانة بها الخالق العظيم .
ولننظر أيضاً فيما يلي :

- كيف استقبال الإسلام الديانتين ؟ اليهودية والمسيحية ؟ ..
هل حكم الإسلام على كل اليهود بشيء ، يكون نقيصة فيهم .. ؟
هل حكم الإسلام على كل النصارى بشيء ، يكون نقيصة فيهم .. ؟
لا ..

لم يصدر حكم الإسلام بذلك أبداً ..
الإسلام احترام الواقع .

الإسلام علم المؤمنين به أن كثيراً من اليهود يملكونهم الحق ويملكهم الدليل ، لذلك قال :
« وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ
تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ
عَلَيْنَا فِي الْأَمِينِ سِمَلٌ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .

سورة آل عمران الآية ٧٥ .

إذن فالإسلام يعلم المؤمنين به أنصاف اليهود وأنصاف النصارى .

يؤكد الإسلام على أن الإنسان اليهودي أو النصراني قد يأمنه الإنسان المؤمن على قنطار من الذهب أو الفضة فيؤديه كاملاً، ويؤكد أن هناك من بين اليهود أو النصارى من تأمنه على دينار واحد فلا يؤديه إلا إذا لازمته وأخرجته .

أنصف الإسلام المؤمنين باليهودية .

أنصف الإسلام المؤمنين بالمسيحية ..

فعل الإسلام ذلك لأنه لو أصدر الحكم بإدانة كل يهودي أو مسيحي لزرع عداوة نهائية بين أهل الأديان وَلَمَعَ أي يهودي من أن يعتنق هداية الله له بالإسلام .. ذلك أن من بين اليهود والنصارى من تراوده نفسه إلى الحق وإلى الإيمان بدين محمد وتصديق ما جاء به من رسالة ...

فكيف يَسُدُّ الرسول باب الإيمان على البشر .. ومن المؤكد أن من البشر من يلمسه صدق الحق ونور الإيمان .

إذن فقول القرآن بأمانة الإنسان المؤمن بالله، وإن اختلف تصوره لله مع منهج الإسلام، وقول القرآن بأن أمر الأمانة يختلف من إنسان إلى إنسان .. ذلك القول منطقي مع واقع الناس جميعاً ..

لم يظلم الإسلام أحداً من الديانتين .

لأن الإسلام أثبت أن فيهم من يؤمن بالله وينفذ أحكامه، وفيهم من لا يؤمن بالله ولا ينفذ أحكامه .

أهل الديانتين كالمؤمنين بمحمد تماماً ..

منهم من ينفذ أحكام الله، ومنهم من لا ينفذ أحكام الله .

إذن ..

فالقضية التلقائية التي تمثل إيمان أهل الديانات الثلاث بالإله هي قضية متفق عليها لذلك ..

يجب أن يفتن أهل الديانات السماوية إلى تلك القضية، وألا يجعلوا العدا بينهم مُقَوِّياً لأهل الإلحاد الذين يعادون كل مؤمن بالله وكل مؤمن بأحد الأديان السماوية . ويريد الله منا أن يكون منهجه في الأرض هو السائد . ومنهج الله يعلم المسلمين أن الناس

تختلف في كل بقاع الدنيا .
فإذا كانت الكثرة والعزة والغلبة للمسلمين في بقعة ما من الأرض وعایشهم غیرهم
من أهل الكتاب وكانوا قلة .

ومادام الإلتقاء الإيماني في القمة بأن هناك إلهاً ..
ومادام الإلتقاء الإيماني يؤكد صلة السماء بالأرض ..
فعلى الرحب والسعة بكل المؤمنين بالديانتين العظيمتين ..

وليسع كرم الإسلام كل إنسان من أهل اليهودية .
ولتسع سماحة الإسلام كل إنسان من أهل النصرانية .
ومادام منهج المسلمين سيّداً

ومادام منهج الله محققاً .
ولا يعنينا أن يخطئ أهل الكتاب في تصور القوة السماوية
وهي قوة الله .

والإسلام حين يحترم ذلك إنما يحترم نفوس المسلمين العطرة بالإيمان .
وإن الإسلام كما يقدر أنه في أرض ماله الغلبة .. فإنه يثق أن هناك أمماً أخرى
يكون المسلمون فيها أقلية .

وإذا أحسن أهل الإسلام عندما يكون لهم الغلبة في معاملة القلة والأقليات، فإننا
بذلك نضرب المثل لأن تكون أقليتنا في بلاد غير إسلامية، محاطة بالتقدير والعناية
والرعاية والسلام والأمن والإحترام .

وعلى أقل تقدير، لا يكون ذلك من أجل ديننا، ولكن لحسن معاملتنا لغيرنا من أهل
بقية الديانات .

هكذا نرى أن الإسلام قد جاء لالينتقم ولا ليزرع الفرقة بين الناس والأديان ..

لكن الإسلام جاء لينشر منهج الله ..

سواء آمنت بالله أم لم تؤمن .

لأن إيمان الفرد بالله لا يزيد الله شيئاً ..

إنما الإيمان هو الذي يجعل الفرد عنصراً مفيداً وفعالاً في المجتمع ..

والإيمان بالإسلام يؤكد أنه منهج لله في أولويات التطبيق .
وهكذا نعرف أن الإسلام لا يجمال أحد .. إنما يجمال الحق .
ولنضرب مثلاً على ذلك :

هناك يهودي اتهمه المسلمون ظلماً بسرقة درع مقاتل مسلم ؛ فقد وجد المسلمون
الدرع عند اليهودي .

فقال المسلمون أن اليهودي، وهو زيد بن الثمين قد سرق الدرع ..
وقال ابن الثمين :

- أنا لم أسرق الدرع ولكن أودعه عندي رجل اسمه قتادة .

وكان اتهم المسلمون لليهودي قائماً على شبهة .. فالدرع كان مخبأً في جوال من
الدقيق . ومن سرق الدرع سار به إلى محل إقامة ابن الثمين ووجد المسلمون خطأً من الدقيق
مرسوماً على الطريق، فقد كان جوال الدقيق مثقوباً .. وتتبع المسلمون خط الدقيق الأبيض
حتى وصلوا إلى بيت ابن الثمين .. وهنا قالوا :

- اليهودي سرق الدرع ..

أنكر ابن الثمين ، وشاع الأمر . وأحب الناس أن يرفعوا الأمر إلى الرسول .
فاليهودي قد اتهم مسلماً بأنه هو الذي سرق الدرع . اليهودي أشار إلى قتادة على أنه اللص .
ومال فكر المسلمين إلى انصاف المسلم على اليهودي ولو ظلماً .. وذلك حتى لا يشمت
اليهود بالمسلمين . الفكرة في حد ذاتها قد تعجب العقل والوجدان للوهلة الأولى .. وراح
الأمر بين الأخذ والرد .

وحَسَمَ الله الأمر .. فنزلت كلمات الله :

« إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَلَا تَجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً » .

" سورة النساء الآيات من ١٠٥ إلى ١٠٧ "

وهكذا نزل حكم القرآن .. أمر واضح بعدم الدفاع عن الخونة أو الذين يبالغون في
إخفاء الخيانة في أنفسهم . وأمر واضح لمحمد أن يحكم بالحق وأن يتجه في الحكم إلى الله

وأن مغفرة الله قائمة. وعلى ذلك إقامة العدل واجبة . هكذا حكم القرآن لليهودي في تلك الواقعة على المسلم .
وهكذا خرج قانون السماء بالعدل أيأ كان المتهم وأيأ كان البري .

تسامح الإسلام وعدله :

إن القرآن الكريم كفل حرية الأديان السماوية . لذا كان لا بد للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته أن يسيروا على هداة .
وأبدأ أولاً بالوثيقة أو المعاهدة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة . وقد ذكر فيها صراحة أن اليهود بني عوف، أمة من المؤمنين، وإن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأن لليهود بني النجار والحارث وساعدة وبني جشم وبني الأوس .. الخ مثل ما لليهود بني عوف، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم (أي أن المسلمين يشتركون بالنفقة على المعوزين من اليهود) وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم الخ ...
فهذه الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها والضرب على أيدي العابدين (أي من عبدة الأصنام المشركين) ومُدبري الفتن أيأ كان دينهم . وقد نصت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة .
فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكاثفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق الخاصة والعامة .
واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن المدينة إذا هاجمها عدو ، وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبغى تركها أو القعود فيها لمن يحفظ حرمتها (١) .
وهناك حادثة أخرى تدل على منتهى تسامح النبي الكريم حين جاءه ضيوف من وفود نصارى نجران أنزلهم في مسجده الشريف، ولما أرادوا القيام لصلاتهم في مسجده النبوي أراد بعض المسلمين منعهم من ذلك . فتصدى لهم النبي وقال : دعوهم يصلوا لا تمنعوهم من صلاتهم لله في مسجدا .

(١) نقلت هذه المعلومات من كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي .

ومثال آخر عن حرية الأديان السماوية ورعاية حرمتها وحقوقها في ظل الإسلام:
عندما دخل عمر بن الخطاب زائراً كنيسة القدس، ولما حان وقت الصلاة إذا بعمر يخرج ويصلي خارج الكنيسة أمام بابها، فقال له الأسقف المسيحي: لِمَ لم تصلي داخل الكنيسة؟ فأجابه عمر، أمير المؤمنين: أخشى أن يأتي وقت يقول بعض الجاهلين لقد صلى عمر بالكنيسة فيتخذون من صلاتي داخلها ذريعة لأخذ الكنيسة والاستيلاء عليها.
ومثال آخر على ديمقراطية سيدنا عمر بن الخطاب التي لم يضاهاها ديمقراطية بالتاريخ، على ما اعتقد، بين الرعية، فقد خاطب الشعب يوماً مامن منبر المسجد وقال لهم ماذا تفعلون بي إذا عوججت؟ فيجيب الناس: لو فعلت ذلك قومناك بسيوفنا تقويم القدح، فيقول عمر وهو فرح طرب: فأنتم إذن فأنتم إذن.
أما مساواة شريعة القرآن بين أفراد الرعية، من غير اعتبار جنس أو لون أو دين، فلنقتصر من ذلك على مثالين:

الأول: عندما دخل رجل مسيحي مظلوم على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين أسألك الحكم بالقرآن كتاب الله عزوجل. قال وما شأنك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصب أرضي. وقال هذا الكلام أمام عباس نفسه: فقال عمر يا عباس ماتقول؟ قال نعم ولكن أقطعنيها الوليد أمير المؤمنين وكتب لي بها سجلاً وكتاباً. فقال عمر: ماتقول أيها المسيحي؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك الحكم بكتاب الله، الحكم بالقرآن.

فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، قم يا عباس فرد على الرجل ضيعته، فردّها إليه. ورجع المسيحي يطري بعدالة الإسلام وإنصافه.

أما المثال الثاني: فقضية القبطي الشهيرة، عندما ضربه ابن عمرو بن العاص وهو يخاطبه: أنا ابن الأكرمين. فاشتكى القبطي إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين. فأعطى عمر السوط للقبطي قائلاً له: اضرب ابن الأكرمين - فضربه حتى استشفى. وأرسل عمر بن الخطاب بعدها كتاباً إلى نائبه بمصر على أثر هذه الحادثة، قائلاً له كلمته المشهورة: متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

(المعلومات السابقة أخذت من بعض كلمات سماحة الشيخ أحمد كفتارو)

مثال آخر : عن بعد الإسلام عن التعصب والتزمت والعنصرية، ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فأجابوه : إنه يوم عظيم أنجى الله فيه موسى ومن معه، فصامه شكراً لله، ونحن لهذا نصومه . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نحن أحق وأولى بموسى منكم وصام عاشوراء وأمر المسلمين بصيامه .

ومثال آخر أيضاً : فقد مرت جنازة يهودي ؛ فوقف لها الرسول بخشوع، فقالت الصحابة : إنها جنازة يهودي، فأجابهم : سبحان الله أليست نفساً، أليست إنساناً ؟ وأعتقد إن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم هو ذروة الرقي الإنساني الرفيع وذروة إحترام الإنسان والكرامة الإنسانية بغض النظر عن أي اعتبار آخر .

وقصة أخرى عن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، تدل على مدى صدقه في دعوته الدينية للإسلام، وعن ترفعه عن استثمار سذاجة الناس أو الحوادث الخارقة في دعوته، وعن سعيه لتحرير الذكاء الإنساني بما يوبقه من رواسب الرؤيا المغلوطة والأساطير الموروثة . فقد خسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله وقال أصحابه إن الشمس خسفت لموت إبراهيم . فنادى الرسول في أصحابه قائلاً : إن الشمس والقمر، آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته .

ومثل هذا الموقف العظيم موقف السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بتواضعه ، حينما جاءه بابرس، رئيس المجمع، يُولول وينكفي فوق قدميه يقبلهما أمام الناس كافة، ويتوسل إليه كي يذهب إلى ابنته التي ماتت ليرد إليها الحياة . ويدخل المسيح عليه السلام على البنت وأهلها حولها ينوحون ويلقي على الجسد نظرة فيتحرك الجسد تحت غطائه فيصرخون : إن المسيح أحيّاها . ولكن الصادق العظيم يجيبهم : إنها لم تمّت لقد كانت نائمة .

وأخيراً، أختتم موضوع تسامح الإسلام والعرب ببعض المقتطفات من كتاب (من يحمي المسيحيين العرب) للمؤلف السيد فيكتور سحاب (١٩٨١) .

وبهذه المناسبة إنني أقدر وأحترم روح الإنصاف والعدل والذكاء السياسي الذي اتسم به هذا الكتاب، وخاصة ما ذكره الأساتذة: فيكتور سحاب وإدمون رباط من الحوادث التاريخية البعيدة والحديثة، أكثر الله من أمثالهما (١) .

(١) وحيداً لونهج غيرهما من الكتاب المسيحيين هذا المنهج، فأبانوا عن وجه الحقيقة وكتبوا بروح الأمانة لإطلاع الجيل الحاضر والأجيال القادمة على ساحة الدين الإسلامي وعدالته وواقعيته وعاليته، وأنه صالح في كل زمان لأنه يحتوي الأديان الأخرى ويحافظ على معتقها وقد قال تعالى في القرآن الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (ولو لا دفعَ الله الناس بعضهم ببعض، لهدّمت صوامعُ وبيعُ وصلوات ومساجد يُذكرُ فيها اسم الله كثيراً) والصوامع هي الأديرة، والبيعُ هي الكنائس للنصارى، وصلوات هي كنائس اليهود .

يقول السيد فيكتور سحاب: إن المسيحيين اضطهدوا ثلاث مرات في تاريخهم الطويل ؛ ولكن أهم فترة اضطهاد كانت إبان الدولة البيزنطية، إذ اضطهدت هذه الدولة الآراميين والأقباط المسيحيين لمغايرة عقيدتهم المسيحية للعقيدة الرسمية، وكان شكل الاضطهاد غالباً بالتصفية الجسدية، فقد لوحق الرهبان حتى تخوم الصحارى السورية والمصرية . وفي مجزرة بيزنطية واحدة قُتِلَت الدولة في مصر مائتي ألف قبطي من أنصار الطبيعة الواحدة (اليعاقبة)؛ وعندما فتح العرب مصر كان الإكليروس القبطي مختبئاً بومته في الصحارى، هرباً من التصفية .

ونشبت في أفاميا (قرب مدينة حماة) مجزرة أخرى، هي مذبحة رهبان دير مارون التي ذهب ضحيتها مئات من الرهبان الخلقيدونيين (أنصار المذهب الرسمي) . ولم تتوقف هذه المجازر إلا عند ظهور الإسلام على البلاد، وقيام معاوية على الحكم في ولاية الشام، قُبِلَ إنشاء الخلافة الأموية .

وهناك حقيقتان أخريان اضطهد فيهما المسيحيون، وذلك إبان الحروب الصليبية، وفي عصر السيطرة الأوروبية. وكانت للدول الأوروبية في هذه الحقب الثلاث السيطرة والغلبة . ويتساءل الكاتب: ماذا عن وضع المسيحيين في الحقب الأخرى حين كانت الغلبة للدول الإسلامية أو العربية ؟.

يقول الدكتور : إدمون رباط في إحدى محاضراته عن نظام أهل الذمة في الإسلام بالحرف (٢٠ آذار ١٩٨١) : من الممكن وبدون مبالغة، القول بأن الفكرة التي أدت إلى انتاج هذه السياسة الإنسانية (الليبرالية) - إذا جاز استعمال هذا الإصطلاح العصري - إنما كانت ابتكاراً عبقرية، وذلك لأنه للمرة الأولى في التاريخ انطلقت دولة هي دينية في مبدئها، ودينية في سبب وجودها، ودينية في هدفها، ألا وهو نشر الإسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة من عسكرية ومثلية وتبشيرية - إلى الإقرار في الوقت ذاته بأن من حق الشعوب الخاضعة لسلطانهم أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وثوابت حياتها، وذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد فيه بإكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم .

ولاشك في أن المسيحيين المخضرمين الذي عاصروا الفتح الإسلامي هم أكثر من لمس الأمر بوضوح، إذ انتقلوا فجأة من سلطان دولة ... كانت تضطهدهم اضطهاداً وصفه بعض

المؤرخين العصريين في أوروبا بأنه لا يُشبه حتى بأعمال البهائم (وهي الدولة البيزنطية) إلى سلطان دولة حافظت لهم على أديارهم وبيعهم بعد طول تعرضها للهدم والحرق والمصادرة كما خيّرتهم بين اعتناق الإسلام والبقاء على دينهم بشرط الدخول في ذمة المسلمين . أي بشرط الانضمام إلى دولة الإسلام ورفض المقاتلة مع أعدائها . وكان إكليروس الكنيسة القبطية كله متخفياً في الصحارى، هرباً من المذابح البيزنطية ؛ فلما جاء الفتح العربي عادت الكنيسة المصرية إلى حريتها الكاملة علناً . بل إن عمر بن العاص، عندما فتح الإسكندرية للمرة الثانية (بعد أن تمكن البيزنطيون من استردادها بعض الوقت) خالف السنن الإسلامية فوزع من بيت المال على الأقباط أموالاً طائلة ، لتعويضهم عن العقوبات التي أنزلتها بهم الحكومة البيزنطية لمعاونتهم العرب في فتح مصر .

حركة دينية أم سياسية ؟

وهذا ليس، في الواقع، بالأمر الغريب ؛ فالدراسات التاريخية الحديثة لا تنظر إلى الفورة التاريخية التي انتابت المسيحيين العرب والآراميين والأقباط ضد بيزنطية ، طوال ما يزيد عن القرنين، على أنها فورة خلافات دينية نظرية حول طبيعة المسيح ، بل ترى هذه الدراسات الآن أن الخلافات الدينية لم تكن سوى أسلوب متاح للتعبير عن فوران سياسي يسعى إلى التعبير عن البيئة العربية الآرامية القبطية ومسعاها إلى التحرر ، وهو التعبير الذي تحقق لهذه البيئة بالإسلام، فتلقفته البيئة وأسملت إليه قيادها طائفة ، فعاد إليها السلام ، بعد قرون من المذابح المتعاقبة .

وليس أدل على ذلك من أن النظرية اليعقوبية لم تنتشر إلا في المجتمعات العربية - الآرامية - القبطية في إرمينيا وقتنذ، وهي جميعاً مجتمعات كانت تسعى إلى التخلص من الحكم البيزنطي والساساني .

وليس أدل على ذلك من أن حركة « الثورة » اليعقوبية العارمة، ظلت تزلزل المنطقة بعنف ؛ برغم الاضطهاد قرنين من الزمن. لكنها هدأت فجأة لدى ظهور الإسلام وتوقف الاضطهاد . وليس من تفسير عصري لهذا التحول، غير القول أن المنطقة كانت تبحث عن تعبير سياسي عن الذات ، وجَدته في الإسلام...أوجدت في الإسلام متنفساً له .

ولهذا كان في الإسلام متسع للنصارى لم يكن متاحاً لهم شيء منه في دولة
بيزنطية، والذين رفضوا عقيدة بيزنطية، لأنهم رفضوا سلطانها، استطاعوا أن ينضموا إلى
« دار الإسلام » أي لأهل الذمة، دون أن يفقدوا عقيدتهم .
تلك العقيدة التي كان النبي محمد يجعلها .

(الصفحة ٢٦ - ٢٩) .

ويقول المؤلف بعدئذ: ومهما يكن، فإن التاريخ العربي في طوله ومصادره الإسلامية
والكنسية، على السواء، لا يروي حادثة واحدة يمكن تشبيهها من قريب أو من بعيد
باضطهادات بيزنطية للمسيحيين اليعاقبة، أو باضطهادات محاكم التفتيش الإسبانية
للمسلمين أو العرب أو المستعربين فضلاً عن اليهود .

إذا تتمعنت المذاهب المسيحية العربية على اختلافها بعد ظهور الإسلام، بالحرية التي
كانت تقاتل لأجلها تحت حكم بيزنطية، منذ دخولها في ذمة المسلمين، أي إطار دولتهم .
ووقت كانت جميع دول الأرض لا ترضى بدين آخر داخل تخومها، وكانت دولة المسلمين
في عز انتصارها وقوتها وغناها عن الملاينة والمسائرة، أحدثت نظام تعدد الأديان في الدولة
الواحدة أي نظام أهل الذمة .

وفي رأيي، إن نسبة هذا الإجراء إلى السمو الخلقي وحده، لا يفسر الأمور بعمق؛
والأرجح عندي أن النصرانية الآرامية العربية القبطية، كانت حليفاً طبيعياً للإسلام في إطار
الصراع التاريخي الذي ظل يتجاذب المنطقة قروناً قبل ظهور الإسلام. وهذا يعني أن دولة
الإسلام كانت حليفاً طبيعياً للنصارى العرب، ماداموا في صفها السياسي، لا في صف الدول
العدوة، ولا حاجة إذن بالمسيحيين العرب إلى الغرب؛ بل إن الغرب هو الذي توّسل إلى
مصالحه بحماية من المسيحيين العرب؛ وجعلهم في كثير من الأحيان يدفعون من دمهم ثمن
تحويلهم إلى ترس يختبئ من ورائه. حدث ذلك كلما كانت تقوم للغرب دولة في منطقتنا :
الحقبة البيزنطية، والحقبة الصليبية، والحقبة الحالية . فَمَنْ يحمي النصارى العرب من الحماية
الغريبة التي كانت وبالأعلى عليهم عبر العصور ؟

ألم يطلب المرحوم فارس الخوري، السياسي السوري المسيحي البارز، حماية المسلمين
لنصارى العرب من مرامي الدول الغربية ونوازعها ؟ (من كتاب السيد فيكتور سحاب
بالحرف) ، « من صفحة ٣٣ - ٣٥ » .

ويستشهد المؤلف أيضاً السيد فيكتور سحاب في الصفحة ٦٤ بالمؤرخ برنارد لويس (وهو يهودي) عن العرب والتسامح، حيث يقول : نجح الإسلام التقليدي ولم تنجح المسيحية في الحقيقة يوماً في جمع التسامح الديني مع الإيمان الديني العميق، فلم يشمل الإسلام بتسامحه غير المؤمنين فقط بل الهراطقة أيضاً . وهذا اختبار أصعب بكثير .. وفي الصعيد الاجتماعي، كان الإسلام ديمقراطياً على الدوام، أو كان بالأحرى يقول بالمساواة فيرفض المجموعات المنغلقة كما في الهندويرفض الامتيازات الأرستقراطية كما في أوربا (١) .

وجواباً على من يقول بأن سكان منطقة سوريا الكبرى، وما بين النهرين (وكانوا كلهم نصارى قبل الفتح الإسلامي) ليسوا عرباً . جاء الدكتور إدمون رباط، بنفس الكتاب، بأبحاث عدد من علماء التاريخ الأثري، وهم: الأمريكي جيمس بريستد ، وثلاث علماء ألمان هم : شيرنغر وشراور وفينكلر ، والعلامة الإيطالي ليوني كايثاني ، وكل هؤلاء العلماء توصلوا إلى أن الساميين جميعهم عرب . وجدهم كما هو معروف هو سام بن نوح، وقد ورد اسمهم في التوراة ، فقد هاجروا تدريجياً من الجزيرة العربية منذ ما يقرب الخمسة آلاف سنة، حينما بدأ التصحر فيها، واتجهوا نحو ما يسمى بالهلال الخصيب .

ولقد لخص المؤرخ الإفرنسي ألكسندر موره الهجرة السامية من جزيرة العرب بخمسة أمواج :

الأولى : بلاد عقاد أو أكاد في الألف الرابع قبل المسيح .

الثانية : الكنعانيون في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد .

الثالثة : الآراميون في سورية، من شمالها حتى دمشق، والعبريون في فلسطين قريب سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد (٢) .

الأنباط : حوالي ٥٠٠ قبل الميلاد .

وأخيراً العرب : في القرن السابع بعد الميلاد، والذين أتوا تحت راية الإسلام .

ويقول المؤلف السيد فيكتور سحاب، إن الإضطهادات الدينية الإغريقية البيزنطية، جعلت نصارى سوريا والعراق على الأخص، يتوسمون الخير وينشدون الخلاص على يد الفاتحين العرب .. الذين رأوا فيهم محررين لا غزاة .

(١) المؤلف : وكما يقول المثل: الفضل فيما شهد به الأعداء .

(٢) أي أن اليهود أيضاً أصلهم عربي حسب رأي علماء التاريخ الأثري .

ويستشهد الكاتب بقول ميخائيل بطريك السريان الإثوذكس في القرن الثاني عشر، أي بعد خمسة قرون من الفتح ، وفي تاريخه الطويل نجد عبارات استهجان لسياسة الروم ، كالتالية : « لأن الله وحده هو المنتقم الأعظم - الذي وحده على كل شيء قدير ، والذي وحده إنما يدل ملك البشر كما يشاء ، فيهبه لمن يشاء - ويرفع الوضيع بدلاً من المتكبر ، ولأن الله قد رأى ما كان يقتضيه الروم من أعمال الشر ، من نهب كنائسنا ودياراتنا وتعذيبنا بذكر أية رحمة ، فإنما قد أتى من مناطق الجنوب ببني اسماعيل ، لتحريرنا من نير الروم .. وهكذا كان خلاصنا على أيديهم من ظلم الروم وشرورهم وحقدهم واضطهادهم وفضاعتهم نحونا » .

وهي شهادة رهيبة، نجد مثلها ، بما يتعلق بأقباط مصر في تاريخ يوحنا النيقوسي، الذي تولى أسقفية نيقو في دلتا النيل بعد فتح مصر بقليل، وكذلك بتاريخ سواروس الأشموني الذي جاء من بعده .

ولاغرو أن السياسة التي اتبعها العرب المسلمون منذ أول فتوحاتهم، قد أعدت تلك الجماهير في البلاد التي دانت لهم ، إلى تقبل سلطاتهم، وهي سياسة كانت ، هي أيضاً ، فتحاً بذاتها في عالم الفكر والدين. ومن المعلوم أنها استندت إلى الآية الكريمة التي تقضي أن « لا إكراه في الدين » .

فمن الممكن، وبدون مبالغة، القول بأن الفكرة التي أدت إلى انتجاع هذه السياسة الإنسانية (الليبرالية)، إذا جاز استعمال هذا الإصطلاح العصري ، إنما كانت ابتكاراً عبقرياً، وذلك لأنه للمرة الأولى في التاريخ، انطلقت دولة هي دينية في مبدئها، ودينية في سبب وجودها، ودينية في هدفها- ألا وهو نشر الإسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة من عسكرية ومثلية وتبشيرية- إلى الإقرار في الوقت ذاته بأنه من حق الشعوب الخاضعة لسلطانهم ، أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وطرز حياتها. وذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد إكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم، بل وحتى على الإنتماء إلى الشكل الخاص الذي يرتديه هذا الدين، كما كان الأمر عليه في المملكتين اللتين كان يتألف منهما العالم القديم .

هذه القاعدة التي لم تنتشر في البلاد الغربية، إلا بفضل الثورة الأميركية، والثورة

الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .
وهو الدين الذي أقر لغير المسلمين ، ليس فقط بحقوقهم الفردية والجماعية الكاملة ،
بل وأيضاً بالمواطنة الشاملة في عصرنا الحاضر الذي زال فيه نظام الذمة ، لكي يحل محله
نظام الحريات العامة . المنطوية ، لزماً ، على مبدأ المساواة التامة في المواطنة .

ألم يكن الرسول العربي الذي قال في حديثه الشهير :
« ليست العربية بأحدكم ، من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن
تكلم بالعربية فهو عربي » .

هذا ما ذكره الدكتور إدمون رباط في وثيقة نشرها بتاريخ ٤ / ٣ / ١٩٨١ في

بيروت .
وأختم هذا الكتاب راجياً أن يكون الله تعالى قد وفقني فيما قصدت إليه وهو ولي
التوفيق .

مصادر هذا الكتاب

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - رياض الصالحين (أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم) .
- ٣ - تعريف عام بدين الإسلام .. تأليف الشيخ علي الطنطاوي .
- ٤ - لماذا أنا مسلم .. تأليف عبد الرحمن العيسوني .
- ٥ - التوراة والإنجيل والقرآن والعلم .. للدكتور موريس بوكاي .
- ٦ - المائة الأوائل ... للدكتور مايكل هارت .
- ٧ - الإعجاز العددي في القرآن الكريم ... للدكتور رشاد خليفة .
- ٨ - نخبة من آراء وكلمات سماحة الشيخ أحمد كفتارو .
- ٩ - ما يبعد به الإسلام ... لروحيه جارودي .
- ١٠ - حوار الحضارات ... لروحيه جارودي .
- ١١ - الإسلام والغرب وجهاً لوجه ... للدكتور عبد المنعم النمر .
- ١٢ - من أجل حوار إسلامي مسيحي ...
وهي وثيقة الفاتيكان لعام ١٩٧٠ ترجمة :
الدكتور : سليم البياضي وزهير مارديني .
- ١٣ - محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .. للأستاذ محمد رضا .
- ١٤ - محمد في الكتاب المقدس ... تأليف البروفسور عبد الأحد داؤود (سابقاً)
القسيس دافيد بنجامين كلداني) .
- ١٥ - مَنْ يحمي المسيحيين العرب ؟ تأليف فيكتور سحاب .
- ١٦ - في تربية الإنسان المسلم ... للشيخ متولي شعراوي .
- ١٧ - العالم في منظوره الجديد : لروبرت وجورج ن . ستانسيو .
- ١٨ - معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم تأليف عبد الرزاق نوفل .

المحتوى

ص	مقدمة
٤	سبعة أسباب لإيمان عالم بالله
١٠	القرآن والعلم
١٦	خلق الكون
١٨	الشمس والقمر
٢٤	موضوع كروية الأرض في القرآن
٢٦	أفكار عامة عن السماء وتطورها
٢٧	نشأة الحياة في الأرض
٢٨	تكون الجنين
٣١	بعض الفقرات من محاضرة الشيخ عبد المجيد
٣٣	الزندانى عن الإعجاز العلمى فى القرآن:
	البواهيى الذى تثبت أن ﷺ
	لم ينقل القرآن من التوراة والإنجيل
	(مختصرة من كتاب الدكتور موريس بوكاي)
٣٨	موضوع الطوفان
٣٩	خروج موسى
٤٠	موضوع اختلاف البحور بعضها عن بعض والحاجز المائى بينها
٤١	موضوع التقاء الأنهار العذبة بالمياه المالحة
٤٢	موضوع الموج الموجود فى عمق البحر
٤٣	موضوع البراكين الموجودة فى عمق البحار
٤٥	موضوع الجبال وكونها أوتاداً للأرض
٤٦	موضوع الجاذبية الأرضية
٤٩	الفوائد الطبية للعسل
٥٣	

٥٦	لماذا حرم الله لحم الخنزير
٥٩	تحريم الخمر
٦١	مجموعة عديدة لإعجاز القرآن
٦٣	إخبار القرآن الكريم عن الوقائع المستقبلية ، ثم وقوعها كما أخبر
٦٨	معجزة الأرقام في القرآن وجوه أخرى لإعجاز القرآن
٧٦	مضار الدم وسمومه
٧٧	مضار اللحم الميت أو المتفسخ
٧٨	ماذا يقول المفكرون الغربيون المنصفون عن الإسلام :
٨٠	الإعتراف بمظالم الماضي
٨٨	اعتراف التوراة والإنجيل بالنبي محمد (ﷺ)
٨٩	محمد (ﷺ) في الكتاب المقدس لعبد الأحد داوود
٩٥	من كتاب المائة الأوائل لمايكل هارت
٩٨	الإسلام دين المستقبل
٩٩	بإعتراف الصحف الأجنبية ، الإسلام أكثر الديانات انتشاراً في العالم
١٠١	اصدارات .. الإسلام قوة عالمية
١٠٢	٧١ مسجداً في نيويورك
١٠٣	المواضيع التي يهاجم بها أعداء الإسلام الدين الإسلامي
١٠٣	١ - الجزية
١٠٤	٢ - انتشار الدين الإسلامي بالسيف
١٠٦	٣ - الرق
١٠٧	٤ - المرأة في الإسلام
١١١	٥ - تعدد الزوجات
١٢١	- موضوع القضاء والقدر
١٢٢	- تربية الإنسان المسلم للشيخ متولي الشعراوي
١٣٠	- تسامح الإسلام وعدله
١٣٩	- مصادر الكتاب